تاريخ الدولة السعودية

المجلد الاول

من محمد بن سعود الى عبد الرحمن الفيصل

١١٥٨ - ١٣٠٧

تأليف

أمين سعيد

توزيع

دار الكاتب العربي

أسماء الذين تولوا الحكم من آل سعود

الدور الأول

محمد بن سعود من سنة ١١٥٨ إلى سنة ١١٧٨

عبد العزيز بن سعود من سنة ١١٧٨ إلى سنة ١٢١٨

سعود بن عبد العزيز من سنة ١٢١٨ إلى سنة ١٢٢٩

عبد الله بن سعود من سنة ١٢٢٩ إلى سنة ١٢٣٤

الدور الثاني

تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود من سنة ١٢٣٥ إلى سنة ١٢٤٩

فيصل بن تركي من سنة ١٢٤٩ إلى سنة ١٢٨٢

عبد الله بن فيصل من سنة ١٢٨٢ إلى سنة ١٣٠٧

عبد الرحمن بن فيصل من سنة ١٣٠٧ إلى سنة ١٣٠٩

الدور الثالث

عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل من سنة ١٣٠٩ إلى سنة ١٣٧٣

سعود بن عبد العزيز من سنة ١٣٧٣

الإهداء

مولاي صاحب الجلالة الملك المعظم

هذا سجل مفاخر أجدادك الأكرمين
الذين أقاموا للدين عمودًا، ورفعوا
للعروبة راية، وللأخلاق منارًا،
أقدمه إلى جلالتك وأنت تسير على
خطاهم، وتضيف أمجادًا إلى أمجادهم
ومفاخر إلى مفاخرهم راجيًا قبوله
تفضلًا وتكرمًا.



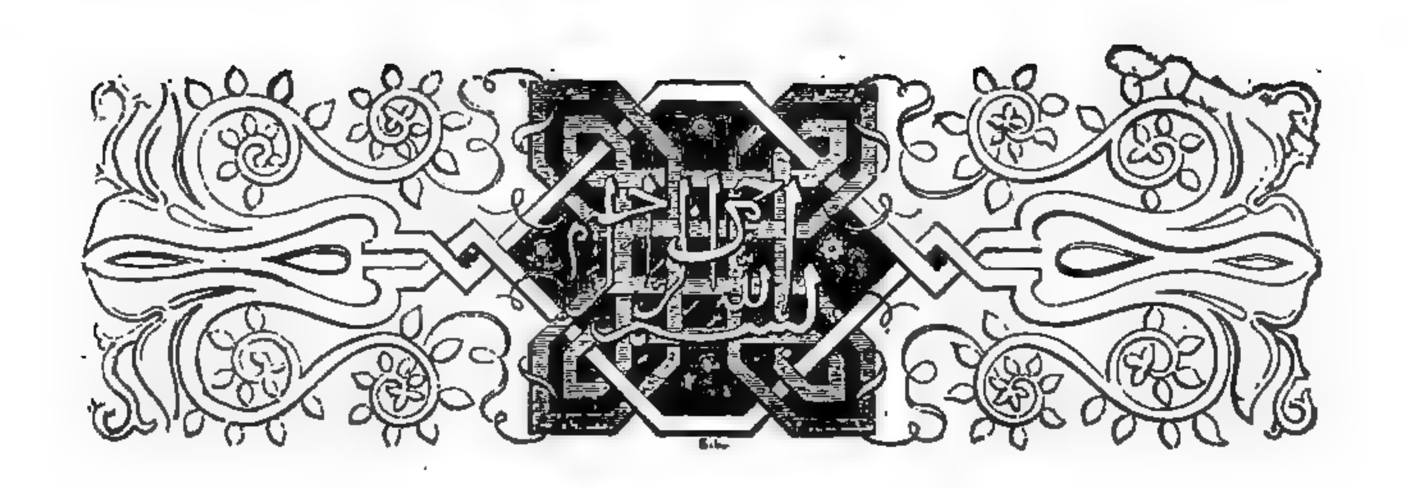
حضرة صاحب الجلالة الملك سعود المعظم



حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل المعظم

رجل الدولة الفولاذي، ودماغها الكبير المفكر،

ومؤسس النهضة، ورافع لواء الاصلاح



الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على رسله وأنبيائه أجمعين .

أما بعد فهذا سجل جامع لأخبار الدولة السعودية منذ نشأتها الاولى في نجد عام ١١٥٨ هـ (١٧٤٥) حتى هذا اليوم ، جمعت فيه كل مـــا وفقت اليه من أخبارها ، وضمنته كل ما عرفته من أحداثهـا ، وربطت بين أجزائه ، والفت بين عناصره وأسميته «تاريخ الدولة السعودية» وهو في ثلاثة مجلدات :

المجلد الأول – ويبـدأ بالكلام عن ظهور الدعوة في نجد ، ويورد سيرة كاملة لمؤسسها الامـام الشيخ محمد بن عبد الوهـاب التميمي ، مع سيرة كاملة للأمير محمد بن سعود امير الدرعية ، ناصر الدعوة وحاميها ، وسيرة نجلـه البطل الامير عبد العزيز وخليفته سعود الذي اتسعت حدود الدولة في ايامه فضمت تحت جناحيها الحجـاز وعسير وتهامة وقطر والبحرين ، ودقت أبواب الشام والعـراق ، ورفعت رأس نجد ، وبوأتها مكاناً عالياً في دنيا العروبة وآفاقها .

وخلف سعوداً الكبير، نجله عبدالله فنهج نهجه ، وسار سيرته ، بيد أن انتداب محمد علي الالباني حاكم مصرلمحاربة الدولة السعودية، وقد بدأ عدوانه منذ اواخر عهد سعود ، كان عاملاً قويـــاً من عوامل التوقف ، ولكنه كان موقتـــاً ، فقد جدد الدولة ورفع قواعدها، ونهض بأعبائها، الامام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وخلف هذا نجله فيصل فسار سيرته ، ونهج نهج أجداده ، فأقبل الناس عليه ، والتفوا حول رايته

وخلفه نجله الامام عبدالله، فنشبت في عهده نيران فتنة، أضعفت الدولة ، وأطمعت خصومهـا . ويختم هذا المجـلد بولاية الامام عبد الرحمن بن فيصل الذي برهن ، رغم قصر عهده ، عن براعة فائقة ، وكفاءة فذة نادرة .

المجلد الثاني ـ ويؤرخ للعهد الذهبي للدولة السعودية ، عهد الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي ، الكوكب الدري اللامع في تاج البيت السعودي ، والبطـل الفرد الذي اغدقت عليه الطبيعة أسمى الصفات والمزايا ، فجدد الدولة وأحياها ، وقاد سفينتها سحابة نيف ونصف قرن قيادة الربان المـاهر الخبير ، فعظم أمرها ، واتسعت حدودها ، وصارت لها الكلمة العليـــا في شؤون الشرق العربي ، وفي رسم سياسته العامة ، وتقرير مصائر شعوبه ، وقد حباها العون والتـــأييد ، كما أمد الحركات القومية في بلاد العرب بالمساعدات الثمينة .

المجلد الثالث ـ ويؤرخ لهذا العهد الزاهر ، عهد الانشاء والتجديد ، عهد الاستقرار والخيرات والبركات ، عهد الحضارة ونشر العلوم وبث أنوارها .

ولقد رحلت أثناء اشتغالي بوضع هذا الكتاب رحلتين الى المملكة السعودية، الاولى سنة ١٩٦٠، والثانية سنة ١٩٦٣، فجلت في انحائها ، وطفت في ارجائها ، ووقفت في الاماكن التي كانت ميداناً للأحداث الجسام ، واستمعت الى أقوال الكثيرين من الذين شهدوها واشتركوا فيها ، مما يهب هذا الكتاب ميزة خاصة ، فالكتابة عن خبرة واطلاع ، غير الكتابة عن النقل والسماع .

وهنالك ميزة ثانية لهذا الكتاب أيضاً ، وهي انني عثرت على نسخة من التقارير السرية التي كانت في حيازة حكومة الهند البريطانية وفيها وصف كامل للعلاقات بين البيت السعودي وهذه الحكومة مما لا يزال سراً مكنوناً حتى الآن ، يضاف الى هذا وهذا ايضاً ، انني ما زلت منذ انتسبت الى الصحافة المصرية في سنة ١٩٢٢، أتابع أخبار هذه الدولة وأتصل برجالاتها وقادتها وأباحثهم وأناقشهم وأفوز منهم بكثير من الاخبار والمعلومات التي اهتديت بها واعتمدت عليها في كتابي هذا . وكل ما أرجوه ان يكون نافعاً ومفيداً لأبناء أمتي العربية فيتدارسوه، ويستفيدوا بما حواه ، والعصمة لله وحده ، ومنه تعالى استمد العون والتوفيق .

مقدمة

دارت يوم ١٥ رجب سنة ٩٢٢ معركة فاصلة بجوار مدينة اعزاز شمالي حلب، بين الجيش العثماني بقيادة السلطان سليم سلطان الدولة العثمانية، وبين جيش المماليك الشراكسة بقيادة السلطان الاشرف قانصوه الغوري انتهت بمقتل الثاني وفوز الاول ، فواصل سيره الى دمشق ومنها الى القدس وغزه ، وبلغ القاهرة يوم ٣ محرم سنة ٩٢٣ فدخلها، فكان ذلك نهاية حكم المماليك الشراكسة وبداية حكم الترك العثمانيين .

وأسرع الشريف بركات بن أبي نمي ، شريف مكة يومئذ ، وكان الحجاز كاليمن مشمولاً بنفوذ دولة المماليك، فأوفد نجله الى القاهرة يحمل مفاتيح الكعبة الى السلطان العثماني دليل الخضوع والطاعة ، وأبلغه انهم خطبوا باسمه على منبر الحرم المكي ، فشكره وأقر والده فيما كان عليه .

وخيب الحكم الجديد الآمال التي عقدها عليه العرب، اذ كان شراً من الحكم المملوكي القديم فأبقى المماليك في الحكم وترك حبلهم على غاربهم ، واكتفى بأن

أقام « باشا » في قلعة القاهرة يمثله ، وحوله عدد من الضباط الترك الذين سرعان مـــا تفاهموا مع المماليك واندفعوا اندفاعهم في السلب والنهب ، وظلم الناس واضطهادهم ، مهملين كل مشروع للاصلاح والنهوض .

واستسلم العرب للأقدار ، وارتضوا بما قُسم لهم وظلت بلادهم هادئة ساكنة حتى اواسط القرن الثـــاني عشر ، اي حتى ظهر في قلب نجد شيخ في مقتبل العمر ، فرفع صوته بالدعوة إلى الاصلاح والى ترك البدع والخرافات والرجوع الى الاسلام الصحيح المبرأ من الشوائب ، المنزه عن العيوب، فكان اول صوت يرتفع في العالم العربي بالدعوة الى الاصلاح والنهوض ، بعد الاحتلال التركي ، كما كان أول بشير يبشر بالقومية العربية ، ويدعو إلى احيائها وتعزيزها ، وهي التي جار عليهـا الترك وحاربوها حرب ابادة وإفناء ، فيقظة العرب ونهوضهم ، معناه في عرفهم ظهور الدولة العربية ، ومعنى ظهورهـا جلاؤهم عن بلاد العرب وهو ما كانوا يحاذرونه ، ويبذلون كل شيء في سبيل اتقائه واجتنابه .

وأيد آل سعود ، الدعوة الجديدة ، دعوة الاصلاح الديني واليقظة القومية وساروا في طليعتهـا فنمت وازدهرت ، وشرقت وغربت ، وذاع امرهـــا في العالمين العربي والاسلامي ، وتحدث عنها الناس في كل مكان ، وسارت بذكرها الركبان ، رغم مقاومة الترك الشديدة لهـــا ، واقامتهم الحواجز والسدود في طريقها ، ولكن الافكار النافعة لا تقاوم ولا تصادم ، ولعل المقاومة تزيدهـا قوة واندفاعاً .

وسرت جراثيم النهضة الجديدة ، جراثيم اليقظة والاصلاح الى البلاد العربية المجاورة فتأثرت بها ، وتفاعلت معها ، فحفل النصف الأول من القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر بأحداث جسام هزت بلاد العرب الشرقية، وأيقظت شعوبها وطوائفهـا ، فاندفعت تحارب الحكم التركي الفاسد وتسعى لاحلال حكم عربي

قومي اسلامي محله ، ومصدر ذلك كله تلك الشرارة التي انطلقت فلمعت في آفاق نجد فأنارت السبيل أمام ابناء مصر والشام وشقت امامهم الطريق .

لقد كانت سلسلة احداث متشابكة الحلقات، وثيقة الارتباط، شهدها العرب في مصر والشام خلال تلك المرحلة ، ولولاها لما كانت هذه النهضة القومية الكبرى التي شملت العالم العربي كله في هذا القرن ، وأنشأت له هذه الدول التي تملأ الرحاب ، وتهز اعطاف كل عربي وتملأه عزة وافتخاراً ، والاحداث دائماً تبدأ صغيرة ثم تكبر وتنمو وتؤلف كلًا واحداً ، وثيق الصلة، متين الارتباط.

لقد ظهرت والنضال على أشده في قلب نجد بين انصار الدعوة وخصومها حركة قومية في فلسطين (سنة ١١٧٠ - ١١٨٠) قادها الشيخ ظاهر العمر فقاتل الترك وهزمهم وسيطر على صيدا وطبريا ويافا وعكا وغزة ونابلس اي على فلسطين الشمالية والوسطى .

والى جانب هذه المعركة التي تدور في فلسطين، كانت هنالك حركة اكبر تتمخض عنها مصر بدأت سنة ١١٦٩ بخلع نير الترك والغاء السيادة العثمانية ، فتسلم علي بك ، كبير المماليك زمام السلطة وتفرد بالحكم، واضعاً نصب عينيه احياء دولة المماليك القديمة وبعثها بعثاً جديداً .

وأعد هذا حملة عسكرية تضم ثلاثة الاف جندي ومعها ٣٠ مدفعاً وأرسلها الى الحجاز فنزلت في جدة ثم تقدمت الى مكة فدخلتها بدون مقاومة تقريباً وأقالت الشريف أحمد بن سعيد اميرها وأبدلته بآخر اسمه الشريف حسين بن بركات وأبقت لديه حامية عسكرية .

وسجل الشيخ عثمان بن بشر صاحب كتاب تاريخ نجد هذا الحادث باقتضاب فقال وهو يورد اخبار سنة ١١٨٤ ان محمد بك أبا الذهب (نائب وزير مصر علي

بك) وصل ومعه الجند الى مكة وأجلى إحمد بن سعيد اميرهـا وولى الشريف حسين بن بركات وترك عنده عسكراً وخرب بيت السعادة .

وأعد علي بك حملة عسكرية اخرى اوفدها الى سورية لمحاربة الترك وطردهم وذلك بالاتفاق والتعاون مع الشيخ ظاهر العمر زعيم حركة فلسطين، فواصلت التقدم حتى دمشق فدخلتهـا يوم ٦ حزيران سنة ١٧٧٢ بدون مقـاومة تذكر فكانت اول حملة عسكرية عربية تدخلها بعد معركة مرج مدابق سنة ١٥١٦ .

وفجأة وعلى حين غرة، وفيما كانت الامور تسير في هذا الاتجاه، وبلاد الشام لابسة حلل الزينة ، ابتهاجاً بالعهد الجديد ، وفرحـاً بالخلاص من الحكم التركي السيء الممقوت ، اصدر محمد ابو الذهب القـائد العـام للحملة امراً الى قواده بالانسحاب والرجوع الى مصر ، وذلك بعد اربعة ايام فقط من وصولها . ولئن اختلفت آراء المؤرخين في تعليل اسباب هذا الانسحاب، الذي أثار دهشة عظيمة في جميع الاوساط ، فان الذي نراه ان الحسد لا سواه ، والرغبـة في الحلول محل علي بك والجلوس في مجلسه، هو العامل الاول والآخر، فقد اعتقد هذا ان في استطاعته ، بعد الفوز الذي أدركه في الحجـاز والشام مقروناً بتأييد الحملة التي كان يقودها ، ان يقصي سيده عن الحكم ويحل محله ، وهو ما حدث بالفعل بعد ذلك ، فقد سقط علي بك اسيراً يوم ٩ نيسان (ابريل) ١٧٧٣ في المعركة التي دارت بينه وبين مملوكه هذا في الصـالحية (شرقي القاهرة) ومات بعد قليل مسموماً بأمره .

وقبل ان ينسى الناس ثورة علي بك واحداثها ، وصلت الى الاسكندرية يوم ٦ محرم سنة ١٢١٣ (١٧٩٨) حملة افرنسية بقيادة الجنرال نابوليون بونابرت لغزو مصر وانشاء امبراطورية فرنسية في الشرق العربي وشمالي افريقيا فقاومها الشعب المصري وقاتلها بقيادة الازهر ، فقد سار شيوخه وعلماؤه بالمقدمة وبذلوا

ارواحهم في سبيل مقاومة الاحتلال الاجنبي الجديد الذي جاء يستعبدهم ويستحي نساءهم وابناءهم ، شأن كل احتلال ، في كل زمان وعهد ومكان وارض .

وصهرت هذه الاحداث الشعب المصري وبعثت فيه روحاً جديدة ، فنهض بعد جلاء الفرنسيين يقاوم الترك والمماليك الذين حاولوا ان يعيدوه الى حكمهم وارغمهم على تعيين محمد علي الالباني والياً على مصر بمساعدة قادة الحركة الوطنية الجديدة في مصر ، بيد انه ما لبث ان اندفع ينكل بهم بعدما استتب له الامر كما اندفع في قتال جيرانه ابناء جزيرة العرب وأبناء السودان ، ثم اندفع في قتال الدولة العثمانية في الشام محاولاً ان يرثها ويحل محلها ، فانبرت له دول اوروبا ووقفت في طريقه وصدته عن سبيله واعادته الى السيادة العثمانية فكان ذلك اول تدخل لأوروبا في شؤون الشرق العربي وأول مرة تملي فيها ارادتها على شعوبه وسكانه .

وقبل ان يسدل الستار على هذه الأحداث الكبرى هاجم الفرنسيون الجزائر[١] ، ثم كانت ثورة عرابي في مصر[٢] ، وثورة المهدي في السودان[٣] ، وكان لكل منها تأثيرها الكبير في عالمنا كله .

تلك خلاصة وجيزة لأخبار الثورات التي تفجرت في البلدان العربية خلال النصف الثاني من القرن الثاني عشر والثالث عشر بعد ثورة نجد ونهضتها ، فهي منها بمثابة الرائد، شق لها الطريق، وفتح لها الابواب فدخلتها وواصلت سيرها .

---

١) هاجت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ فانبرى الجزائريون لمقاومتها وقاتلوها اصدق قتال بقيادة الامير عبد القادر الحسني .

٢) ثار المصريون بقيادة احمد عرابي باشا على الحكم السيء الذي اقامه الخديوي سنة ١٨٨٢

٣) ثار السودانيون سنة ١٨٨١ بقيادة المهدي على الحكم المصري السيء وسعياً وراء انشاء حكم ديني اسلامي فكان لهم ما أرادوا .

ولقد سجلنا في هذا الكتاب اخبار الدولة السعودية الاولى، وليدة حركة الاصلاح الديني التي دعا اليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتبناها وقادها آل سعود فحملوا رايتها، وقاتلوا في سبيلها، فأثمرت اطيب الثمار، ونفحت العرب بهذه الدولة العربية السعودية فكانت اول دولة مستقلة كبرى ينشؤونها في داخل جزيرتهم بعد دولة الخلفاء الراشدين فوحدت ما بين اجزائها وضمت اليها الاقطار المجاورة لها، وجعلت لها كياناً ومقاماً.

لقد كانت نجد، قبل هذه النهضة المباركة مقسمة الى مشيخات وامارات، لا رابطة تربط بين شيوخها، ولا تعاون ولا تآزر، الجار يفتك بجاره، والاخ يقتل أخاه، الأموال منهوبة، والأمن مفقود، والفوضى عامة، والبدع متفشية، والخرافات منتشرة، فكأن عهد الجاهلية قد بعث وتجدد، وكأن الناس قد عادوا يتسكعون في دياجيرها، ويخوضون في غمارها، فجاءت دعوة الاصلاح فأراحتهم من جميع امراضهم، وشفتهم من اوصابهم، ومنحتهم أمناً شاملاً، واستقراراً كاملاً، ومجتمعاً متضامناً، ودولة قوية، رفعت شأن نجد، وعززت مكانتها، وبوأتها مقاماً رفيعاً في العالمين العربي والدولي، ما كانت لتبلغه لولاها.

ويؤرخ هذا الكتاب لهذه الدعوة الكريمة التي كانت مصدر خير وبركة لنجد خاصة وللعرب والمسلمين عامة فقد أيقظتهم، وأنهضتهم، وأعادتهم الى جادة الدين الصحيح، ويسجل اخبارها من ساعة الميلاد حتى يوم الناس هذا، ويربط بين اجزائها، ويفسرها تفسيراً صحيحاً يقربها من متناول العقول والافهام.

نجد في التاريخ

دخلت قبائل نجد في الاسلام مع قبائل الحجـــاز واليمن واهتدت بهديه ، وحملت رايته الى اقصى الارض وأدناها ، وقاتلت في سبيله اصدق قتال ، وكان لها جهد وجهاد في حروب العراق والشام ومصر ، وقد انتهت بانتصار ساحق للجيوش الاسلامية العربية .

وأهملت الدولة الاموية نجد والحجاز (قلب الجزيرة العربية) اهمالاً شائنـــاً معيباً ، وصارت تكتفي، بعد ان انتقل مقر الحكم للشام ، بايفاد ولاة يمثلونها، فكان لهـــا في المدينة والٍ أو عامل ، ومثله في مكة ، وثالث في الطائف ، وكان الاخير يشرف بطبيعة موقع المنطقة الجغرافي ، على أجزاء نجد الغربية «عالية نجد» وعلى السراة وعسير ، وقد جرى بعض خلفـاء الدولة على أن يزور الحجاز حاجاً فيهب بعض الاموال لمن يمشي في موكبه من المغنين والمرتزقة ، أما الشعب ومصالحه ومرافقه فقلّ ان كان يهتم بها ، او يسأل عنها .

واتبع العباسيون حينما انتقل الامر اليهم في النصف الأول من القرن الثاني(ه) الطريقة نفسها ، بدون تغيير ولا تبديل إلا في الطريق الذي يسلكونه ، فكان

العباسيون يأتون الحجاز من الشمال بطريق حائل ، أما الامويون فكانوا يفدون من الجنوب بطريق البلقاء وتبوك ، وكانوا كالأمويين يوزعون الهبات والعطايا على المغنين والمرتزقة ، على ان ورودهم انقطع منذ اواسط القرن الثالث (ه) اي منذ سرى الضعف الى جسم الدولة ممـا اطمع فيها ولاتها وحكامها ، فصاروا يستقلون بالحكم مع احتفاظهم بسيادة اسمية للخليفة القابع في قصره ، القانع بما يرسل اليه .

واغتنم الشريف ابو محمد الموسوي ، فرصة هذا الضعف فأنشأ في مكة في القرن الرابع (ه) شبه حكم مستقل شمل معظم انحاء الحجاز وكان النواة الأولى لحكم الأشراف الهاشميين مع خضوع اسمي لسلاطين القاهرة ، ايوبيين ومماليك وأتراك .

وأوفد الشريف بركات نجله إلى القاهرة في سنة ٩٢٣ يحمل بيعته الى السلطان سليم العثماني حينما بلغها، وأرسل معه مفاتيح الكعبة علامة الخضوع والاستسلام، وأرسل اليه يقول أنه خطب باسمه على منبر البيت الحرام، فسر السلطان وأبلغه بأنه أقره فيما كان عليه .

على ان الحكم العثماني الجديد ، اتجه في العصور الحديثة ، وبعد ان استقرت قواعده ، ورسخت اركانه ، الى تقليم أظافر الاشراف حكام الحجـاز والحد من سلطـانهم ، فصار يرسل الى مكة واليـاً يمثل السلطان الى جانب قائد عسكري برتبة «باشا» لقيادة الفرقة العسكرية التي جعلوا مكة قاعدة لها توطيداً لنفوذه ، وكان هنالك « محافظ » تركي يقيم في المدينـة المنوّرة ، وكانت ايضاً قاعدة لفرقة عسكرية تركية ، مع قائمقـام تركي يتولى الحكم في جدة ، وآخر في الطائف وثالث في ينبـع . وهكذا ضمن الترك السيطرة على مدن الحجـاز الكبرى وحواضره ، أما البوادي فتركوا أمرها للأشراف يقومون على ادارتها اي ادارة القبائل العربية ، على انهم مـا كانوا يتأخرون عن التدخل في جميع الأمور عند الحاجة ، والوقوف في طريق الاشراف مما كان يسبب كثيراً من

الاضطراب والقلاقل ، فقد كان كل فريق يحاول الاحتفاظ بسلطانه. وقد عانى الحجاز الكثير من هذا الحكم «الثنائي» المزدوج مما كان يعد من جملة عوامل تدنيه وانحطاطه .

ولقد حاولنا كثيراً في خلال دراساتنا لتاريخ الدولتين الاموية والعباسية وتاريخ الايوبيين والمماليك في مصر ثم تاريخ العثمانيين الذين جاؤوا بعدهم وورثوهم ، ان نعثر على اسم والٍ او حاكم ارسله هؤلاء او اولئك او احدهم الى نجد او احدى مقاطعاتها الوسطى او الشمالية او الغربية او الجنوبية ، فلم نقع على شيء ، مما يدل على مزيد من الاهمال تحمل تبعته هذه الدول ويحمل اصره رؤساؤها والذين قاموا بالأمر عليها .

على ان الذي استنتجناه في النهاية هو انهم تركوا امر مقاطعات نجد الوسطى والغربية الى الاشراف الهاشميين حكام الحجاز الذين جروا على أن يشرفوا على قبائلها اشرافاً جزئياً ، يؤيد هذا الاستنتاج ما وقفنا عليه في تاريخ ابن بشر المسمى « عنوان المجد في تاريخ نجد » فهو وان كان يبدأ بتدوين الحوادث من سنة ١١٥٨ وهي السنة التي لجأ فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى محمد بن سعود في الدرعية ، فانه كثيراً ما اورد اخبار الغارات المتتابعة التي كان اشراف الحجاز يشنونها على عربان نجد وقبائلها منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، حتى ظهور الدعوة الدينية في نجد ، وكان اشراف الحجاز أول من قاتلها وحاول صدها عن سبيلها . فقد شعروا من اليوم الاول بأن نجاحها وفوزها معناه ادالة دولتهم ، والقضاء على نفوذهم ، وهو ما حدث بالفعل بعد حروب امتدت نيفاً ومئة واربعين سنة ، وقد سجلنا اخبارها تفصيلاً في تضاعيف المجلدين الاول والثاني من كتابنا هذا .

شعراء نجد الأوائل

مرى في أذهان الكثيرين ممن لم يزوروا نجداً ، ولم يتجولوا في انحائها ، ويشاهدوا مغانيها ومرابعها ، ويقفوا على غياضها ورياضها ، انها صحار مقفرة ، ورمال محرقة وسباسب جرداء ، وقيعان محرقة لا أثر فيها للحياة ، وهذا خطأ كبير ، ووهم جسيم، لئن جاز ترديده في العصور الخوالي ، لصعوبة الانتقال ، وتعذر الاتصال ، فلا يصح ترديده في هذا العهد الذي اختزلت فيه المسافات ، وسهلت المواصلات ، وصارت النقلة فيه بين البلدان ، والتقلب فيها من اسهل الامور وأيسرها .

ولنجد ميزة كبرى ، امتازت بها على جميع العرب في ذاك العصر الذي اعتدنا أن نسميه جاهلياً ، فقد نبغ فيها فحول الشعراء الذين نفحوا تاريخ الأدب العربي ، بأكبر ثروة ، وكانوا بدوره على طول الزمان ، وحسبهم شرفاً وفخاراً ان العرب ما يزالون منذ خمسة عشر قرناً يتدارسون شعرهم وأدبهم ويستظهرونه ويروونه ويرددونه في مدارسهم ومعاهدهم ومجالسهم ، ويضعون فيه المؤلفات الطوال ، ويغوصون في بحاره لاستخراج ما فيه من اللآلىء والنفائس، فزهير بن أبي سلمى نجدي ومثله لبيد، والأعشى، وطرفة، والنابغة ، وعنترة . وهنالك من يلحق بهم امرأ القيس ، فكل هؤلاء الفحول العمالقة من

ابناء نجد ومن الذين ولدوا على أرضها ، ودرجوا على اديمها ، ونشأوا في ربوعها ومغانيها واستنشقوا أريجها وعبيرها، واستوحوا آثارها وطلولها، وما يزال الشعر العربي حتى يوم الناس هذا ، ورغم تتابع هذه القرون الطول ، يعتمد على ما ابتكروه وصاغوه من موازين وقواعد ما استطاع احد أن يضيف اليها جديداً ، أو يبتكر ابتكاراً .

على أن هذا يجب ألا يفسر بأن نجداً عقمت بعد عصور الجاهلية فلم تنفح الادب العربي بشعراء من طبقتهم ومن وزنهم ، فهنالك عشرات من الشعراء النجديين ظهروا ونبغوا في العصور الاسلامية وفي مقدمتهم جرير والفرزدق وغيرهم من الذين كتبوا امجد الصفحات في تاريخ الأدب العربي ، وما يزال هذا شأن نجد حتى الآن ، فكلما غاب كوكب طلع غيره ، وكلما أفل بدر أشرق بدر آخر .

ولئن جاز لليونان ان تفخر بفلاسفتها وحكمائها وأدبائها الذين نبغوا في القرن السادس قبل الميلاد ، اي منذ اربعة وعشرين قرناً ، وما يزال العالم يتدارس أدبهم وفلسفتهم وحكمتهم ويستقصي كل ما كتبوه وكتب عنهم ، ولئن جاز للايطاليين ان يفخروا بهذه التماثيل التي تزين متاحفهم وقصورهم وهي من مخلفات العصور الوسطى ، ولئن جاز للانكليز ايضاً ان يفخروا بشكسبيرهم وقد نبغ في العصور الوسطى ايضاً ، فان من حق نجد ان تفخر بشعرائها الذين نفحوا العربية بأرقى وأسمى ما جادت به القرائح من شعر وأدب ومن حق العرب كافة ان يفخروا بهم ويباهوا . وحبذا لو اهتم اهل نجد باحياء مفاخرهم ، وطبعوا دواوينهم ونشروا ما ابدعوه وابتكروه ، فان من حقهم عليهم ألا يهملوهم ، وأن يحيوا مآثرهم ومفاخرهم، وهي بطبيعتها خالدة على الدهر ما دام هنالك عرب يقرأون ، وما دام هنالك أدب يتدارس ويحفظ . وحتى لا يقال بأن عرب الجاهلية ـ وكانوا يسجدون لهذا الشعر ويحتفلون به في سوق عكاظ ـ اكثر تقديراً لشعرائهم، من أبناء هذا العصر الذي نسميه تجوزاً عصر النور والثقافة والمعرفة.

دعوة الإصلاح الديني

ولنجد مزية اخرى يحق لها أن تفخر بها ، فهي الارض التي أشرقت منها أنوار دعوة التوحيد والاصلاح الديني ، وانطلقت منها صيحة النهوض واليقظة القومية ، فأيقظت العرب والمسلمين ، وكانت طليعة ومقدمة لهذه النهضة العامة الشاملة التي تلف أقطار العالم العربي في هذا العهد .

والمزية الكبرى للامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي ، صاحب هذه الدعوة وحامل لوائها انه كان اول من تنبه لحالة الجمود والتأخر التي كان يخبط فيها سكان نجد، والعرب والمسلمون مثلهم ، وأول من أدرك أن السبب المباشر لكل ما هم فيه من جمود وانحطاط هو ابتعاد جمهورهم عن جوهر الدين وروحه، وأخذه بالقشور والحشويات، وتمسكه بالبدع والخرافات، ينغمس فيها وينجرف بتيارها .

لقد وُلد هذا الامام العظيم سنة ١١١٥ هـ ، ونشأ نشأة دين وتقوى في كنف والده الشيخ سليمان بن عبد الوهاب التميمي قاضي مدينة «العيينة» احدى مدن مقاطعة العارض (وسط نجد) فأخذ عنه العلوم الدينية والعربية ، وقرأ

عليه بعض المطولات والامهات . ثم رحل بعد ان بلغ أشده ، واستقام عوده ، واكتمل عقله، وتفتح ذهنه ، الى الحجـاز فشهد موسم الحج وأدى فروضه ومناسكه ، ثم زار المدينة واجتمع الى من فيها من العلماء اسوة بمـا فعله من قبل في أم القرى .

واتجه بعد ذلك صوب العراق ونزل مدينة البصرة ، وأقام فيها فترة طويلة باحثاً مستطلعاً ، وساعده هذا الترحال ، وهيـأ له أسباب الاتصال بطائفة من المفكرين فدرس معهم حالة العـالم الاسلامي ، وما يعانيه من امراض وعلل وأسقام .

وفتحت هذه الرحلات ذهنه ، وأضافت معلومات الى معلوماته ، وللأسفار فوائد لا تنكر مدلول عليها بما يشاهده المسافر من مشاهد ، ويسمعه من آراء وأفكار ، ما كان يصل اليها لو أقام ببلده ولزم منزله .

وقاده تفكيره العميق، وهداه ذهنه الثاقب، الى حقيقة آمن بها كل الايمان، وهي انه لا خلاص إلا بالرجوع الى حظيرة الدين والأخذ بمـا اخذ به السلف الصالح الذي اقام عمود الدين وآمن بمـا جاء به ايماناً صحيحاً صادقاً نابعـاً من القلب والضمير .

وما تردد الشيخ وما خام ، بل انطلق ، بعد عودته الى نجد ، واستقراره في حريـملا الى جوار والده قاضيـا ، يجهر بدعوته ، دعوة الاسلام الصحيح ، ويعلم الناس معنى كلمة التوحيد، وما تنطوي عليه من معان سامية ، وحِكَم رفيعة ، ويحضهم على ترك عبادة القبور ، ونبذ البدع والخرافات والعمل بكلمة التوحيد .

ويقول الشيخ حافظ وهبة في كتابه « ٥٠ عاماً في جزيرة العرب» ص ٧ وهو يتحدث عن عهد طلبه العلم في الازهر : « انه سمع الشيخ محمد عبده يثني في دروسه بالازهر على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويلقبه بالمصلح العظيم ويلقي تبعة وقف دعوته الاصلاحية على الاتراك وعلى محمدعلي الألباني لجهلهم ومسايرتهم

لعلمـــاء عصرهم بمن ساروا على سنّــة من سبقهم من مؤيدي البدع والخرافات ومجافاتهم حقائق الاسلام » .

وسمعت مثل هذا القول عن الشيخ محمد كامل القصاب ، وقد نشأ في أوائل هذا العصر في دمشق ، وسمع من شيخيها الكبيرين الشيخ جمال الدين القاسمي والشيخ عبد الرزاق البيطار ، وأخذ عنهما انهما كانا يتبعان طريق الشيخ ويأخذان بما اخذ به ، فكثر عدد اتباعهما وأنصارهما ، وكان ذلك بدء الحركة القومية في الشام .

والاقوال في ذلك كثيرة ، والاجمـاع معقود على ان الدعوة شملت العـالم الاسلامي ، بعد العربي ، وهزته هزة عنيفة ، فكثر عدد أنصارها ومؤيديهـا ، وزاد تبعاً لذلك تأثيرها ، وعمّت منافعها وفوائدها .

حالة تركيا وبلاد العرب حين ظهور الدعوة

استكملت أوروبا نهضتها منذ القرن السابع عشر الميلادي (الحادي عشر هـ) فأنشأت صناعاتها ، ونظمت جيوشها ، وكونت أساطيلها وبرزت تجوب الشرق باحثة عن اسواق لتصريف مصنوعاتها ومنتوجاتها، وبلاد تستولي عليها، او مغانم تغنمها .

وتشاء الاقدار ان يقع ذلك في نفس الوقت الذي نام فيه الشرق من أدناه الى اقصاه ، نوماً عميقاً ، وسرى الضعف في كيان دوله وشعوبه ، وعم الجهل ابناءه وسكانه ، فاستسلموا للأقدار ورضوا بما تجيء به .

وكان الانكليز حين ظهور الدعوة يوغلون في احشاء الهند يستصفون ولاياتها وأماراتها ، وكانت أساطيلهم وأساطيل البرتغاليين والهولنديين والفرنسيين تجوب الخليج العربي باحثة عن الغنائم والنفائس ، تخرب وتدمر ، وتنهب وتسلب .

وقد أشرنا اشارة عابرة في المقدمة الى الحملة الفرنسية التي قادها نابليون الى مصر ، وتلك التي أرسلتها فرنسا الى الجزائر ، كما لخصنا في الصفحات الآتية خبر

الاتفاق الذي عقدته أربع من دول أوروبا الكبرى وهي انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا (ألمانيا) لاخراج محمد علي من البلاد العربية والشامية والمناطق الاخرى التي كان يحتلها في الأناضول باستثناء مصر التي قررت ابقاءها له في ظل السيادة العثمانية . وبدهي ان هذه الاحداث وهي كبيرة وخطيرة ، أثرت تأثيراً كبيراً في عالمنا العربي وهزته هزة عنيفة ، وسهلت مهمة الدعوة في المرحلة الأولى ، على ان ما جرى كان فاتحة تدخل اوروبي واسع النطاق في شؤون شرقنا العربي، وما يزال ، مع الأسف قائماً ومستمراً حتى الآن ، ولعل دولنا العربية بعد ان وصلت الى ما وصلت اليه تتعاون على اجتثاثه ، فتوقف دول أوروبا واميركا عند حدها ، وتعيد للشرق العربي مكانته وسيادته .

حالة تركيا عند ظهور الدعوة

كانت حالة الدولة العثمانية ، عند ظهور الدعوة ، وانتشارها في اواخر القرن الحادي عشر مشوشة مرتبكة ، بسبب الانكسارات المتوالية التي منيت بها في شرق اوروبا ، فقد اجتمعت شعوبها وحكوماتها لمنازلتها وطردها من قارة اوروبا ، وقادت روسيا المعركة ، وأنزلت بالترك أفدح الخسائر ومـا زالت وراءهم حتى طردوا نهائياً من تلك القارة في اوائل هذا القرن ولم تبق بأيديهم سوى منطقة صغيرة ، ولاية ادرنة ، بجوار عاصمتهم .

حالة البلاد العربية

وكانت البلاد العربية ما تزال في معظم اجزائها خاضعة للدولة العثمانية ، مشمولة بسيادتها ، تتلقى منها الاوامر والتعليمات ، فمصر كانت خاضعة للمماليك لذين يتوارثون حكمها في ظل سيادة اسمية ووهمية للدولة العثمانية التي كانت تكتفي منهم باتاوة سنوية مقطوعة ملقية حبلهم على غاربهم ، ينهبون ويسلبون ، ويسومون الناس سوء العذاب .

وكان الاشراف الهاشميون يسيطرون على الحجاز وكان نفوذهم يشمل عالية نجد وكان الاشراف من آل خيرت يسيطرون على تهامة . أما عسير والسراة فكان الامر فيهما لشيوخهما .

وكان العراق خاضعاً للدولة العثمانية يتولاه « باشا » يبعثه السلطان ويقيم في بغداد . وكان الخليج في مناطقه الشمالية ايضاً خاضعاً لشيوخه ورؤسائه .

وما كانت حالة اليمن تختلف عن ذلك كثيراً ، فالأئمة في صعدا عاصمتهم القديمة والباشا التركي في صنعاء يسيطر على بعض الاجزاء الساحلية .

أما في الشام ، فكان هنالك « باشاوات » اتراك يقيمون في المدن والعواصم الكبرى ، ويحكم الشيوخ والرؤساء في المناطق النائية .

وكانت البلاد العربية كلها تعيش وسط ضباب كثيف من الجهل ، والتعليم يوشك ان يكون مفقوداً ومعدوماً وكان عدد الذين يقرأون ويكتبون في داخل المدن لا يتجاوز العشرات . أما الاقتصاد ومشروعاته فلا وجود لهما . ومثل ذلك الامن فهو مفقود ، في حين ان الاقبال على البدع والخرافات كان مشهوداً مما سهل بالجملة مهمة الدعوة وفتح لها الابواب .

الفاق الدرعية

يقول مدونو سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ان والده الشيخ سليمان نصحه بترك الدعوة ، والعدول عنها ، حينما شرع بها ، خوفاً عليه فلا يصيبه اذى ولا يلحق به مكروه ، فتردد قليلاً احتراماً له ورعاية لمقامه ، بيد انه ما لبث عقب وفاته سنة ١١٥٣ أن انطلق في نشرها ، فأقبل عليه بعض ابناء مدينته وأيدوه وبايعوه على السمع والطاعة .

وزجر الشيخ ، وكان في ابتداء امره ، بعض العبيد الذين كانوا يعيثون بالبلد بالفساد ، بعدما ظهر فسقهم ، وكثر عدوانهم ، وأنبهم فحاولوا تسور داره ليلاً لاغتياله ، فشعر بهم الجيران وصاحوا بهم ففروا وتواروا .

ورأى الشيخ بعد هذا الحادث انه لا بقاء له في «حريملا» فهجرها الى مدينة «العيينة» وهي غير بعيدة عنها ، كما انها في الاصل دار نشأته ، ومسقط رأسه ، فكانت الهجرة الاولى ، يهاجرها في سبيل دعوته ، دعوة الايمان والتوحيد .

ورحب به عثمان بن حمد بن معمر ، أمير العيينة ورئيسها ، وأكرمه ورعاه ، رعاية لصداقة قديمة تربط بينهما وبين آلهما ، وتزوج هنا من السيدة جوهرة كريمة عبدالله بن معمر من اقارب الامير ورحمه .

وعرض الشيخ دعوته عليه ، وحثه على الدخول فيها ، وقال له اني لأرجو ان أنت قمت بنصرة لا إله إلا الله ان يظهرك الله فتملك نجداً وأعرابها ، فأقبل عليه وبشره بالنصر والتأييد ، فكان اول من أيدها من ذوي السلطان وقد ظل هذا شأن آل معمر دائماً .

وتطورت الدعوة بعد انضمام ابن معمر اليها ، واعلانه تأييدها ، فازدادت قوة وزاد عدد الذين انضموا اليها ودخلوا فيها من ابناء العيينة انفسهم .

وكانت في العيينة أشجار يعظمها العامة ويعلقون عليها قطعاً صغيرة مما يلبسونه ، طلباً للبركة ، فبعث اليها الشيخ من قطعها بعد ان نقده اجراً من ماله ، وقطعت بدون مقاومة ولا حادث .

وكانت هنالك شجرة منعزلة في مكان آخر وكانت اعظم الكل شأناً عند العامة ، فخرج اليها الشيخ مرأ يريد ان يقطعها ، فحاول راعي غنم لأهل البلد كان هنالك منعه ، فأعطاه ما أسكته وصرفه ، وقطعت الشجرة وزال أثرها وتأثيرها .

وخطا الشيخ خطوة كانت اكبر وأوسع ، فاعتزم هدم القبة المقامة فوق ضريح زيد بن الخطاب ، احد الصحابة الذين استشهدوا في حروب اهل الردة سنة ١٢ هـ ، وهي بجوار مدينة «الجبيلة»[١] ، وفاتح ابن معمر بالأمر ، وقال له : «دعنا نهدم هذه القبة التي وضعت على الباطل وضل بها الناس عن الهدى» فأجاب موافقاً ، فقال : « اني اخاف ان يوقع بنا اهل الجبيلة ان نحن هدمناها ولذلك اطلب ان تكون معي فوجودك اضمن للنجاح ، فصحبه اليها ومعه ٦٠٠ رجلاً من قومه وبين المدينتين نحو ٢٥ كم .

---

١) « الجبيلة » مدينة صغيرة في وادي حنيفة ، تقع في منتصف الطريق تقريباً بين العيينة والدرعية ، زارها المؤلف حين طوافه بنجد سنة ١٩٦٠ وشاهد الضريح نفسه (ضريح زيد بن الخطاب) ، وهو محاط بسور صغير . ويقول المؤرخون الاسلاميون ان معركة الجبيلة كانت من أعنف ما دار في تلك الحرب ابان خلافة الصديق – ١٢ هـ .

وحاول اهل الجبيلة المقاومة ، وجمعوا جموعهم استعداداً للقتـــال واحتلوا المواقع العسكرية ، بيد انهم ما لبثوا ان تراخوا ولانوا حينما رأوا ان الأمر جد ، وان القوم مصممون. وهدمت القبة بالفعل دون ان تراق دماء وتسفك، وهدمها الشيخ بفأس اخذه بيده. وقد كان لهذا الحادث صداه الكبير ، ودويه العظيم في انحاء نجد كلها ، فتناقل الناس أخباره وتحدثوا عنه ، ذلك ان كثيرين من الجهال كانوا يعتقدون ان هدمه القبة بيديه قد يجر عليه وبالاً ، وقد يعرضه لنكبة تؤذيه . فلما انقضت ايام وأسابيع دون ان يُمس بسوء ، ارتفع شأنه عند العامة ، وعظم أمره وكثر عدد الموالين له .

وجاءته وهو في العيينة امرأة اعترفت له بالزنا وهي محصنة ، فرابه أمرهـــا وظن ان بها خبلًا ، فتحدث اليها وأخذ وأعطى معها ، فوجدها سليمة العقل والادراك . ثم كررت الاعتراف وقالت انها لم تكن مغصوبة وأن ما فعلته يستوجب الرجم ، فأمر بها ، فرجمت .

وطارت شهرة الشيخ وكثر الحديث عنه وعن دعوته الاصلاحية ، ووصل الخبر الى الحسا مكبراً ، فكتب سليمان بن عريعر الحميدي رئيس بني خالد وله الزعامة في المفوف والقطيف ، الى عثمان بن معمر يأمره بقتل الشيخ لمخالفته الدين وخروجه على اوامره ، وهدده بقطع كل مـا هنالك من صلات بينهما اذا تردد او تأخر ، فدعاه هذا اليه عقب وصول الكتاب وأطلعه عليه ، وقال له : « لا طاقة لنا بحرب ابن عريعر ، وليس من مصلحتنا اغضابه فانظر ماذا انت فاعل » ، فقال له : ان ما قمت به ومـا فعلته ، وما دعوت اليه ، هو كلمة لا إله إلا الله ، واقامة اركان الاسلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فان انت تمسكت به ونصرته ، فالله مظهرك على أعدائك ، فلا يزعجك سليمان ولا يفزعك ، واني لأرجو الله أن ترى من التمكين والغلبة ما تملك به بلاده وما سواها وما دونها .

وسكت ابن معمر وأغضى .

وجدد ابن عريعر انذاره ووعيده ، بعدما علم ان كتابه لم يفد ولم يجدِ ، وأرسل يطلب من عثمان أن يقتل الشيخ ويربح نجداً منه ، فأرسل فدعاه اليه وقال له : ان سليمان أرسل يطلب منا قتلك ، وأنت تعرف انه لا مصلحة لنا في اغضابه ، ولسنا في حالة تمكننا من مقاومته ، كما انه ليس من الشيم ولا من المروءة ان نقتلك وانت في بلدنا ومن اهلنا ، ولذلك ارجو ان ترحل عنا وتتركنا . ثم دعا بعض فرسانه وكلفهم بمرافقته الى المكان الذي يختار ويريد ، فقال انه سيقصد الى الدرعية ويحط فيها رحاله .

وتقع الدرعية جنوبي العيينة ، ولا تبعد عنها اكثر من ٣٠ كيلومتراً ، وكلتاهما في وادي حنيفة ، احد الاودية الكبرى ، وبينهما اتصالات وثيقة وروابط كثيرة .

ودخل الشيخ الدرعية في الأصيل . ويقول رواة سيرته انه دخلها خائفاً يترقب لعدم وجود اتصالات مسبقة ، او روابط خاصة ، على انه كان متوكلاً على الله ومؤمناً اشد الايمان بدعوته وواثقاً من نجاحها وفوزها ، وهجرته الى الدرعية هي الثالثة ، والاولى من حريملا ، والثانية من العيينة ، والمتفق عليه انه لقي عناءً في سفره اليها .

واتجه الى منزل عبدالله بن سالم العريني من سكانها وكان يعرفه من قبل وكان منتسباً اليه ، ومع انه رحب به الا ان امارات الخوف والجزع كانت تقرأ في أسارير وجهه ، فسكن الشيخ روعه ، وقال له : «لا تجزع ، سيجعل الله لنا ولك مخرجاً» .

وقال له ايضاً :

نحن لا نبغي سوى الامن والامان وحماية الدعوة .

ومع اننا لا نعرف اسم اليوم ولا الشهر الذي كانت فيه هذه الهجرة ، إلا اننا اعتماداً على ما سجله الشيخ ابن بشر في تاريخه، نقول انها كانت سنة ١١٥٨ هـ (١٧٤٥ م) .

وانطلق العريني ، فزار مشاري وثنيان شقيقي الامير محمد بن سعود صاحب الدرعية وقص عليهما قصص الشيخ ، وقال انه ينزل في بيته وانه يريد الحماية والامان ، فذهبا الى منزل شقيقهما الكبير وقابلا اولاً زوجته « موضى بنت ابي وحطان » وكانت مشهورة بوفرة الذكاء وسعة المدارك والاحاطة بالأمور .

وتحدث الشقيقان مطولاً عن المهمة التي جاءا لاجلها ، وذكرا خبر وصول الشيخ وأنه يبغي الحماية والرعاية والأمن والأمان ، وتكلما مطولاً عن الدعوة التي يدعو بها ، وهي اعلاء كلمة التوحيد ، ومحاربة البدع والخرافات ، وقالا انهما لا يريان بأساً من حمايته، وتأييد دعوته .

ونقلت السيدة الى زوجها ما دار بينها وبين شقيقيه وأبلغته نبأ وصول الشيخ ودعته الى تأييده ونصرته لأنه يدعو الى الحق والى الاسلام الصحيح والرجوع الى الله .

ولم يتردد في القبول والاضطلاع بالمهمة العظمى التي اختارته الاقدار لها .

وبما تم الاتفاق عليه في هذا الاجتماع بين اقطاب البيت السعودي ، ان يبدأ الأميرُ الشيخَ بالزيارة ، اكباراً لشأنه ، وتعظيماً لقدره، ولكي يعلن جهراً للناس انه على وفاق واتفاق معه ، وانه صار في حماه وتحت جناحه ، وذهب الامير بالفعل الى دار العريني ، ولما دخل على الشيخ بادره قائلًا :

أبشر بالخير والعز والمنعة .

ورد عليه الشيخ فقال : وأنت ابشر بالعز والتمكين ، والغلبة على جميع بلاد نجد . انها كلمة لا إله إلا الله ، من تمسك بها ، وعمل لها ، ونصرها ، ملك بها البلاد والعباد ، انها كلمة التوحيد ، وانها اول ما دعا اليه الرسل من أولهم الى آخرهم .

وتناول الشيخ بعد ذلك الحديث ، فأفاض في الكلام عن سيرة الرسول الاعظم ، وما دعى اليه ، وما قام به اصحابه بعده من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، وقال : « ان كل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة

في النار ».

وأفاض في الحديث عن البدع المتفشية في نجد، وما عليه اهلها من الخلافات والجور والظلم.

وختم محمد بن سعود الاجتماع، فقال:

أيها الشيخ:

ان هذا دين الله، ودين رسوله صلى الله عليه وسلم، لا شك فيه، فابشر بالنصرة لما أمرت به، وبالجهاد في من يخالفك، على ان لي عليك شرطين وهما:

الأول: اذا نحن قمنا بنصرتك والجهاد في سبيل الله تعالى، وفتح الله لنا البلاد فلا ترحل عنا، ولا تستبدل بنا غيرنا.

والثاني: ان لي على اهل الدرعية خراجاً أتناوله منهم وقت الثمار، فلا تمنعني عن أخذه.

وقال الشيخ: وأما عن الأول، فامدد يدك، فمدها، فقبضها وقال له: «الدم بالدم والهدم بالهدم».

وقال عن الثاني: «وأما هذه فلعل الله يفتح عليك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منه».

وهكذا تم الاتفاق بينهما على الجهاد في سبيل الله، واعلاء كلمة التوحيد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو اتفاق شرعي معقول، كان الاساس الذي رفعت عليه قواعد الدولة السعودية، وكان فاتحة هذا التطور العظيم في جزيرة العرب، فقد بدل خوفها أمناً، وجوعها شبعاً، ورفع شأنها وأعزّ شعبها.

لقد كان اتفاقاً كريماً، نافعاً ومفيداً، وضع لغاية من اشرف الغايات وأسماها، فحالفه النجاح شأن كل مبدأ شريف، فالبقاء دائماً للأصلح والافضل، وما ينفع الناس يمكث في الارض.

نشأة الدولة السعودية

اعتبر المسلمون يوم وصول صاحب الرسالة المحمدية الى المدينة، مبدأ التاريخ الاسلامي ، وأرّخوا به ، وما يزال هذا شأنهم .

واعتبر بعض الاجانب الذين كتبوا في السيرة النبوية ، يوم وصول الرسول الى المدينة ، يوم نشأة الدولة الاسلامية العربية ، فقد بدأ يمارس سلطات رئيس الدولة عملياً ، فهو زعيم طائفة من الناس لها وطن خاص بها ، تؤمن به وتلتف حوله ، وتتبع تعاليمه ، وهو يقود الجيوش ، ويحارب ، ويصالح ، ويعقد المعاهدات والاتفاقات ، وهي نفس السلطات التي يمارسها رئيس الدولة ، أي دولة .

ولا تثريب علينا ، أخذاً بهذه القاعدة ، اذا اعتبرنا يوم وصول الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الدرعية ، وعقده اتفاقه مع محمد بن سعود ، هو يوم نشأة الدولة السعودية ، ويوم ظهورها وميلادها ، وبذلك تكون قد بلغت من العمر عند اعداد هذه الكتب للطبع ، في سنة ١٣٨٣ هـ ، ٢٢٥ سنة من عمرها الطويل .. أمضته في خدمة بلادها وقومها ودينها ولا تزال .

حالة نجد عند ظهور الدعوة

لم يكن في نجد عند ظهور الدعوة ، حكومة مركزية، ذات نظم واوضاع ثابتة ، ترعى مصالح الناس، وتسهر على أمنهم وسلامتهم ، تقيم احكام الشريعة ،

وتجبي الزكاة ، وتمنع العدوان ، وتعاقب الجناة ، وتهتم بالمشروعات الاصلاحية التي هي دعامة العمران ، وهي المهام الاصلية للدول المستقرة .

لقد كان شيوخ القبائل ، ورؤساء المدن ، وحدهم المسيطرون ، كل منهم في دائرته او مدينته ، يهتم بمصالحه ومصالح عائلته أولاً ، ويطبق من الاحكام والنظم ، ما يتفق مع اهوائه ونزعاته ، فهو الحاكم المطلق ، وهو الذي يطرح الضرائب ويجبيها ، وهو كل شيء في بلدته أو قبيلته ، وتلك حالة أشبه ما تكون بحالة الجاهلية ، أو حالة الانسان في الدور الابتدائي ، حين لم تكن هنالك شرائع ، ولا اديان ، ولا حضارات .

ولما كان الانسان مدنياً بطبعه وروحه ، يميل الى الحضارة والاستقرار ، ويكره الفوضى ويسعى للخلاص منها ، ولما كان العامة من أبناء نجد سئموا حالة الفوضى وملوها ، فلم يترددوا في قبول دعوة الشيخ التي جاءت لانقاذهم ، فأيدوها وأسرعوا وتقلدوا السلاح لنصرتها .

ويؤخذ من المعلومات التي جمعناها ، انه كان في نجد يوم ظهور الدعوة الإمارات الآتية :

١ – امارة آل معمر في العيينة .
٢ – امارة آل سعود في الدرعية .
٣ – امارة بن دواس في الرياض .
٤ – امارة آل خالد في الحسا .
٥ – امارة آل هزال ، في نجران .
٦ – امارة آل علي في الشمال .
٧ – امارة آل حجيلان في القصيم .

وكانت هنالك امارات ومشيخات صغيرة في غرب نجد ، في بيشه ، وفي وادي الدواسر ، وقحطان وغيرها ، وكانت جميعها في حالة غير طبيعية ، ولا مستقرة .

الدعوة والجهاد

اعتبر الشيخ ، وان لم يذكر ذلك صراحة كتاب سيرته ، ورواة اخباره ، ان كل من لم يؤيده ، ويتبعه ، ويدخل في دعوته ، بعد ان بلغته ووصلت اليه ، في عداد الذين يجب على المسلمين قتالهم لكي يعيدوهم الى حظيرة الدين الصحيح . يؤيد هذا ، ما رواه الشيخ ابن بشر في تاريخه ، فقد أورد في الجزء الاول ص ٢٣ ، خبر مكاتبة الشيخ لأهل البلدان المجاورة ورؤسائهم وقضاتهم ومدعي العلم فيهم ، للدخول في الدعوة ، وقال : « ان بعضهم قبل واتبع الحق ، وان بعضهم سخر وهزء ونسب الشيخ الى الجهل ، ورماه بأشياء هو منها براء ، ولكنهم يريدون ان يصدوا الناس » .

ثم قال ما نصه : « وأمر الشيخ بالجهاد ، وحض اتباعه عليه ، فامتثلوا . وأول جيش تألف من سبع ركايب ، فلما ركبوها وأعجلت بهم النجائب في سيرها ، سقطوا من اكوارها ، لأنهم لم يعتادوا ركوبها ، فأغاروا على بعض الاعراب وغنموا ورجعوا سالمين» .

تلك هي قصة اول غزوة غزاها أبناء الدعوة ، ولئن كانت صغيرة ومحدودة،

إلا أنها كانت مقدمة وطليعة لغزوات اخرى تلتها وشملت الحجاز ، والشام ، والعراق ، وشرقت وغربت ، وبوأت الدعوة ارفع مكان .

ويمكن تقسيم ادوار الجهاد التي مرت بها الدعوة الى ثلاثة :

الدور الاول – وقد ابتدأ بوصول الشيخ الى الدرعية ، وارساله كتب الدعوة الى الرؤساء والقضاة في البلاد المجاورة سنة ١١٥٨ ، وامتد الدور حتى سنة ١١٧٩ ، أي حتى وفاة محمد بن سعود ، وكانت الاعمال العسكرية محدودة وقاصرة على مقاطعتي العارض والوشم المتجاورتين .

الدور الثاني – ابتدأ ببيعة الامير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، وتم فيه اخضاع معظم مقاطعات نجد ، والوصول الى الحجاز ، وتهامة ، وعسير ، وحدود العراق والخليج .

الدور الثالث – دور الامير سعود ، الملقب بالكبير ، بدا ببيعته سنة ١٢١٨ ، بعد مقتل والده ، وفيه استقرت قواعد الدولة على أمتن الأسس ، بعدما سيطرت سيطرة كاملة على مقاطعات نجد ، ووحدتها وبسطت نفوذها وسيادتها على الحجاز ، وعسير ، وتهامة والخليج .

تلك هي الادوار الثلاثة التي مرت بها الدعوة في خلال ٧٠ سنة ، احرزت فيها انتصارات باهرة ، بفضل ايمان مؤيديها ، وكفاءة قادتها ، وتفانيهم في نصرتها .

دروس الشيخ محمد ومؤلفاته

عكف الامام الشيخ محمد بعد استقراره في الدرعية ، وبعد ان وجد الحماية والأمان ، على القاء دروس دينية عامة في مسجدها ، وبدأ فعلّم النـاس معنى « لا إله إلا الله » ، وقال : « انهـا نفي واثبـات ، فـ « لا إله » تنفي جميع المعبودات ، و «إلا الله» تثبت العبادة لله وحده لا شريك له » .

وعلم أيضاً الأصول الآتية :

١ – معرفة الله تعـالى ، بآياته ومخلوقاته ، الدالة على ربوبيته وألوهيته كالشمس ، والقمر ، والنجوم ، والليل ، والنهار ، والسحاب المسخر بين السماء والارض ، وما الى ذلك من الأدلة في القرآن .

٢ – وعلم ايضـاً معنى الاسلام ، فقـال : « انه تسليم الامر الى الله ، والانقياد لأوامره ، والانزجار عن نواهيه ، ومعرفة الاركان التي بني عليهـا ، وما ورد بشأنها من الأدلة في القرآن .

٣ – وعلم ايضاً سيرة النبي ، ومبعثه ، وهجرته ، ومعرفة اول مـا دعـا

اليه ، وهو « لا إله إلا الله » ، ثم معرفة البعث ، وان من أنكره ، او شك فيه ، فهو كافر ، وما الى ذلك من الأدلة في القرآن .

٤ – وعلّم معرفة الدين الاسلامي ، (دين محمد وأصحابه) وهو التوحيد ، وقال : « إن دين ابي جهل ، واتباعه هو الشرك بالله » .

وتوافد الى الدرعية ، بعد أن استقر فيها ، أنصاره من ابناء حريملا ، الذين اتبعوه ، وجاءه أيضاً فريق من رؤساء قبيلة «المعامرة» كانوا على خلاف مع عثمان ابن معمر في العيينة . وتوافد ايضاً بعض ابنـــاء المدن المجاورة ، فرحب بهم وآخى بينهم وبين أبناء الدرعية الذين رحبوا بهم ايضاً .

ووصلت الى العيينة اخبار الحفاوة التي لقيهـــا الشيخ في الدرعية عند آل سعود ، فحركت بعض السواكن في نفس عثمان بن معمر ، فجنح الى استرضاء الشيخ واعادته ، خصوصاً بعد أن لحق به رؤساء المعامرة ، فركب الى الدرعية مع نفر من قومه ، فدعوه للعودة معهم ، فاعتذر ، وقال : « ان هذا الأمر ليس لي ، بل هو الى محمد بن سعود ، فان أراد ان أذهب معك ذهبت ، وإلا فلا ، فاني لا استبدل برجل تلقاني بالقبول ، غيره » .

وذهب ابن معمر الى ابن سعود يستأذنه في سفره ، فقال : «مـــا الى هذا سبيل » .

مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب

والى جانب اشتغال الشيخ بالتدريس والتعليم ، فقد عكف على التأليف والتصنيف ، فألف ١٤ كتاباً ورسالة ما يزال الناس في نجد وفي جميع البلدان الاسلامية يقرأونها ويتدارسونها ، للافادة منها ، والانتفاع بها .

وهذه هي أسماء مؤلفاته التي وصلت الينا :

١ – كشف الشبهات
٢ – كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد
٣ – رسالة مسائل الجاهلية
٤ – رسالة تفسير كلمة التوحيد
٥ – رسالة الاربع قواعد في الدين
٦ – رسالة في معنى الطاغوت
٧ – على أبواب الفقه
٨ – مختصر الشرح الكبير والانصاف
٩ – كتاب مجموعة الحديث
١٠ – كتاب السيرة المطولة

١١- كتاب مختصر الهدي النبوي

١٢- اربع رسائل في الاحكام العملية ، والردة ، وبعض فوائد التفسير .

١٣- تفسير بعض سور اجزاء القرآن

١٤- رسالة فوائد الفاتحة

ولقي وجه ربه في سنة ١٢٠٦ ، بعد أن رأى نجاح دعوته ، وشهد ثمارها الطيبة ، ونتائجها الباهرة ، فذهب الى الدنيا الثانية ، راضياً مرضياً ، بما قدم وأسلف .

وما يزال أحفاده في نجد يسيرون سيرته ، ويحذون حذوه في التعليم والارشاد ، والدعوة الى الله والتوحيد ، غير مدخرين جهداً ولا مسعى .

محمد بن سعود

يُعدّ الشيخ مانع المريدي العنيزي ، المؤسس الأول للبيت السعودي، وهو في الاصل من شيوخ قبيلة عنيزة بن ربيعة ، كان يسكن في بلدة «الدروع» من نواحي القطيف ، في منطقة الحسا (شرقي نجد) ، دارت خلال القرن التاسع الهجري ، بينه وبين ابن عمه الشيخ درع رئيس حجر اليمامة ، مكاتبات ، وجرت اتصالات ، فدعاه هذا ، وهو من أبناء عمومته ، الى الوفود عليه والنزول في جواره ، وأقطعه أرضيْ «المليبد» و«غصيبة» المعروفتين في الدرعية، فوفد اليهما مع أتباعه وذويه في سنة ٨٥٠ هـ واستقر فيهما .

وحل «ربيعة» كبير انجال مانع محله في رئاسة العشيرة ، وأضاف ارضاً جديدة الى أراضيه ، انتزعها من آل يزيد ، وكانوا يجاورونه ، وهم في الاصل من آل «دغيثر» من بني حنيفة ، بعد حروب وفتن ، فاتسعت اراضيه ، وكثر عدد أتباعه .

واستأنف نجله موسى ، قتال آل يزيد ، حينما انتقل أمر العشيرة اليه ، فتغلب عليهم ، بعد معارك عنيفة ، واستولى على ملكهم ومنازلهم ، فدانت له

المنطقة ودخلت في طاعته ، فارتفع شأنه ، واتسع نفوذه ، وحل محله في رئاسة العشيرة ، بعد وفاته ، نجله ابراهيم ، وورث هذا نجله فرحات ، وأنجب هذا ربيعة ومقرن، وأنجب «مقرن» محمداً وهو والد سعود رأس الاسرة السعودية. واستولى سعود هذا على الدرعية ، انتزعها من آل معمر ، وجعلها قاعدة له ، وتوفي سنة ١١٤٠هـ، فخلفه نجله محمد، وهو الذي لجأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب اليه وأولاه الحماية والرعاية ، وعاهده على نشر الدعوة ، وقد برّ بعهده ، فحماه ورعاها ، وفتح الطرق امامها .

معارك الرياض

ولقد كانت معارك الرياض ، اول ما خاضته ، وأول ما اشتركت فيه ، ويقول الشيخ ابن بشر في تاريخه وهو يسجل احداث سنة ١١٥٩ ، وهي السنة التالية لنشأة الدولة السعودية الجديدة ، ان دهام بن دواس ، صاحب الرياض ، سار ومعه اهل بلده والصمدة المعروفين ، من بوادي الظفير ، الى المنفوحة ، فاستولى عليها ، وثبت علي بن مزروع وطائفة معه وقاتلوهم وقتلوا عدداً منهم . ثم ارسلوا الى الدرعية يطلبون النجدة (فزعة) ، فانتدب بعض سكانها وعلى رأسهم عبدالله بن سعود ، فقاتلوا المهاجمين وردوهم ، فكان ذلك بدء الخصام بين الدرعية والرياض ، وكلتاهما في وادي حنيفة ، ولا تبعد الثانية عن الاولى ، وتقع الى جنوبها في خط مستقيم ، اكثر من ٢٥ كيلومتراً .

وطلب دهام بن دواس ، بعد معارك وغارات ، عقد هدنة مع الدرعية ، وبذل خيلًا وسلاحاً ، فأعطيت له ، وتعهد باقامة شرائع الاسلام في بلده ، وطلب ارسال معلم يعلمهم التوحيد ، فأرسلوا اليه الشيخ عيسى بن قاسم . على ان هذه الهدنة لم تستمر اكثر من ثلاث سنوات، تجدد القتال بعدها (١١٧٠). أما سبب نقضها ، فهو نهوض دهام برجاله لقتال أهل الدرعية ، لأنهم حاولوا هدم الحاجز المعروف بالرشا ، القائم عند منفوحة .

وتجدد القتال ، وتعددت المعارك واستمرت بين الجيران حتى سنة ١١٨٧ ، ففي هذه السنة ، سار عبد العزيز بن محمد سعود ، على رأس حملة كبيرة لمهاجمة الرياض ، يريد انجاز امرها ، فاستولى بعد قتال استمر اياماً ، على بعض ابراجها وهدم المرقب ، وقتل عدداً من أهلها .

وأعدت الدرعية ، بعد شهرين ، حملة اخرى لانجاز أمرها ، وجاءتها الاخبار وهي في طريقها ، بأن ابن دواس جلا عنها ومعه اهله وأمواله وبعض انصاره وانه خاطب اهل الرياض حين الجلاء ، فقال لهم : « انه سئم الحرب وملها ، وانه لذلك ، اعتزم ترك الرياض نهائياً ، فمن أراد ان يتبعني فليفعل ، وإلا فليبق في مكانه » . فتبعه فريق ، ولجأ فريق آخر الى الخرج في جنوب الرياض وبينهما ٨٣ كيلومتراً .

ووجد الامير عبد العزيز الرياض خالية تقريباً حين دخلها إلا من بعض المتخلفين ، وحاز كثيراً من الاموال والامتعة ، وأقام على البيوت الخالية حراساً يحرسونها ، وملك كل ما فيها .

وقدّر الشيخ ابن بشر ، قتلى معارك الرياض بنحو ٤٠٠٠ رجل ، منهم ١٧٠٠ من المسلمين ، والباقي من أبنائها .

ولم ينقل السعوديون العاصمة الى الرياض ، بل أبقوها في مكانها بالدرعية ، حتى هاجم هذه الجيش المصري ودمرها سنة ١٢٣٤ ، فنقلوا العاصمة اليها .

خضوع المدن المجاورة

كانت مدينة حريملا ، وهي في منطقة العيينة ، اول مدينة تخضع للدعوة بالقوة وتنضم اليها سنة ١١٦٨ .

ووصل الى الدرعية في السنة التالية ١١٦٩ ، وفد من اهل القويعية ، وبايع على دين الله ، وعلى السمع والطاعة .

ووسعت الدعوة نطاق اعمالها العسكرية سنة ١١٧٠ ، فشملت مقاطعة «الوشم» ، ومقاطعة «سدير» . وحاصرت مدينة «ثاذق» فاستسلمت ، فانتدبت الدرعية الشيخ احمد بن سويلم ، ليعلم اهلها التوحيد . واستولت في السنة التالية على الحوطة .

حرب الاحزاب

وحدث في نجد هذه السنة (١١٧١) ما حدث في المدينة في السنة الخامسة للهجرة تقريباً ، وخلاصة الامر ان عريعر بن دجين، شيخ بني خالد ، وهو عدو قديم للدعوة (انظر ص ٣٧) وقد هاله ما ادركته من انتصارات ، ومن اقبال الناس عليها – أراد ان يقضي عليها، ويطفىء نورها، قبل ان تقضي عليه، فجمع جموعه ، وسار حتى الجبيلية على مقربة من الدرعية ، بعدما استنفر اهل الوشم وسدير ، ومنيخ ، وبلدان الخرج ، فأقبلوا عليه وانضموا اليه ، فتألف منهم جمع كبير ، شعاره مهاجمة الدرعية والقضاء على الدعوة .

وحشدت الدرعية قواها، ووقفت على قدم الاستعداد، على ان الامر انتهى بحصول بعض مناوشات بسيطة ، فتفرقت الاحزاب بسرعة ، بسبب الخلافات التي نشبت بينهم ، وعاد كل فريق الى ديرته . على ان بعضهم ، ومنهم اهل ثاذق ، أرسل الى الدرعية يطلب الامان والعودة الى الطاعة ، بعدما تعهد بدفع غرامة .

معركة أحزاب أخرى

ما كادت الدرعية تتخلص من حلف الاحزاب ، الذي عقده وقاده عريعر بن دجين شيخ بني خالد ، حتى فوجئت بحلف آخر ، أشد وأقوى واكثر تضامناً ، قاده صاحب نجران .

لقد لجأ فريق من العجمان الى السيد حسن هبة الله ، صاحب نجران هذا ، يستصرخه ويناشده المروءة ، ان ينضم اليهم في مهاجمة الدرعية . فاستجاب لهم ، واعتزم السير معهم ، بعدما اتصل بعريعر بن دجين رئيس بني خالد ، وعقد معه اتفاقاً يقضي بالتعاون ، وعلى ان يجتمع الفريقان عند الحائر (جنوبي الدرعية بينها وبين الخرج) .

ومشى صاحب نجران بجموعه من يام والعجمان وغيرهما ، ونزل بجوار الحاير وحاصرها .

ووصل الخبر الى الدرعية ، فخرج الامـــير عبد العزيز على رأس قواته ، فدارت معركة انتهت بانهزامه وارتداده ، بعد ان فقد نحو ٥٠٠ قتيلاً و ٢٢٠ أسيراً .

ويقول الشيخ حافظ وهبه في كتابه «جزيرة العرب في القرن العشرين» ص ٢٤٤ : «ان معركة الحاير ، زادت من هموم محمد بن سعود ، عندما رأى جيشه وولده يعودان منهزمين من الحـــاير ، بيد ان الشيخ محمد شدد عزيمته وذكره بما وقع للنبي في غزوة «أحد» ، كما ان زوجه ، وهي من الصادقات المؤمنات ، كان لها أثر لا ينكر في تشجيع زوجها » .

وتم لمحمد بن سعود ، عقد الصلح مع صاحب نجران ، وانقـــاذ الاسرى فعاد إلى ديرته .

ووصل بعد منصرفه ، عريعر ومعه قواه وأنصاره ، ونزل بجوار الدرعية وأقام على حصارها نحو ٢٠ يوماً . ولما أدرك ان منالها صعب ، وانه لا فائدة ترجى من الاقامة حولها ، عاد أدراجه الى بلاده ، مخفقاً فاشلاً .

عهد الإمام عبد العزيز

انتقل الحكم في سنة ١١٧٨ الى الامام عبد العزيز ، عقب وفاة والده وعملًا بوصيته ، فقد اختاره ولياً لعهده، بناء على اقتراح الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فكان أول ولي للعهد يبايع في الدولة السعودية ، فالتف الناس حوله وأيدوه ، وقد كان معروفاً بالشجاعة والاقدام ، ساهم في معظم المعارك التي دارت وقاد اكثرها ، وكان من أشد انصار الدعوة ، كما كان العضد الايمن لوالده .

ان هنالك فرقاً كبيراً، وبوناً شاسعاً بين حالة الدعوة في عهد الأب ، وبين ما صارت اليه في عهد الابن . فقد كانت في الاول ، ضعيفة محدودة القوى ، أما في العهد الجديد ، فالأمر مختلف ، فلها الكثير من الانصار والمؤيدين ، ولها الخيل ، والسلاح ، والرجال ممن تمرسوا بالحروب وألفوها ، وصاروا يتسابقون الى ورود معاركها ، والانغماس في أتونها .

وأخضعت الدعوة ، في عهد الامام الجديد ، معظم مقاطعات نجد ، فدانت لها مدن العارض ، والوشم ، وسدير ، وبلغت الخليج العربي ، واتصلت عن طريقه ، بالعالم الخارجي ، ولا تقل المسافة بين الدرعية والخليج عن ٥٠٠

كيلومتراً ، وهو في شرقها .

لقد كان دور محمد بن سعود ، دور ابتداء وتأسيس ، لقي فيه وأصحابه الأمرين في نشر الدعوة وحمايتها . أمـــا دور الامام عبد العزيز ، فكان دور توسع وانطـــلاق ، وصلت فيه الى حدود العراق من جهة الشمال ، كما تخطت حدود الحجاز من جهة الغرب ، واستولت على مقاطعات المراة ، وعسير ، وتهامة ، واستقرت على شطآن البحر الاحمر ، استقرارها على شطآن الخليج ، والمسافة بينهما نحو ١٧٠٠ كيلومتراً ، وصار لها شأنها ، وصارت موضع اهتمام الدوائر الدولية والسياسية ، وازداد عدد المؤمنين بها ، والمنضوين تحت لوائها .

لقد ورث الامام عبد العزيز عن ابيه ، تركة صغيرة محدودة ، فأدارها على أحسن وجه ، فنمت وازدهرت وزادت أرباحهـا ، وارتفعت اسهمها ، وكثر الاقبال عليها .

غزو مقاطعة القصيم واخضاعها

وبدأ الامير عهده بغزو مقاطعة « القصيم » احدى مقاطعات نجـد الشمالية الكبرى ، اشتهر أهلها بالتجارة ، كما اشتهروا بالفروسية . ولا تقل المسافة بينها وبين الرياض عن ٥٠٠ كيلومتر .

وأعد الامير ، بعد ٤ سنوات من ولايته، أي في سنة ١١٨٢ ، حملة كبيرة لفتح القصيم ، قادهـا ولي عهده الامير سعود ، فهاجمت عنيزة ، احدى عاصمتي المقاطعة ، فوقع قتال بينها وبين اهلها ، ثم عادت الى قواعدها .

وسار اليها الامام عبد العزيز بنفسه في السنة التالية ١١٨٣ ، فهاجم الهلالية احدى مدنها ، واستولى عليها بعد معركة شديدة ، فأقبل عليه فريق كبير من ابناء المقاطعة ، وبايعوه على السمع والطاعة .

وواصل العمل ، فغزا قبائل الظفير والعجمان، كما أتم اخضاع مدن الوشم، والخرج في وسط نجد ، وبعض المناطق الجنوبية .

وعاد فاستأنف الغارة على القصيم سنة ١٢٨٦ ، فهاجم بريدة (العاصمة الثانية للمقاطعة) فاستعصت عليه ، فضرب الحصار حولها وبنى بجوارها قاعدة عسكرية لمضايقتها ، ملأها بالمقاتلة ، وولى قيادتها عبدالله بن حسن من رؤساء آل ابي عليان ، ولم يطل الامر حتى استسلمت وانقادت ، كما استسلمت المقاطعات الاخرى .

نجد بين العراق والحجاز

استهل القرن الثاني عشر الهجري ، والحرب في داخل نجد توشك ان تلفظ أنفاسها ، بعد ان خضع معظم اقطارها ومدنها للدولة الجديدة ودار في فلكها .

ولفت هذا التطور الجديد في حالة نجد الداخلية ، وقيام دولة موحدة في ربوعها ، تؤمن بالتوحيد وتدعو اليه ، وتطبق الاحكام الشرعية وتنفذها ، أنظار جيرانها الغربيين والشماليين في وقت واحد : الاشراف الهاشميون في الغرب ، أي في الحجاز ، وكانت لهم السيطرة على بعض بوادي نجد ومناطقها الشرقية المجاورة لهم ، كما كانوا يسيطرون على السراة وبعض اجزاء تهامة . والترك في الشمال ، أي في العراق ، وكانوا يتابعون سير الدعوة عن كثب ، وكانوا يخافون منها على المناطق المجاورة لجنوبي العراق ، وفي مقدمتها منطقة حايل وغيرها .

وفجأة ، وعلى حين غرة ، وبدون انتظار ، وجدت الدعوة نفسها امام خصمين جديدين ، تأبطا لها الشر ، ونهضا لقتالها من دون ان تعتدي عليهما أو تتحرش بهما .

وخاف كثيرون على الدعوة ، وخافوا ان يبلغ اعداؤها منها مناهم ، بسبب

وفرة القوى المادية لديهم، وكثرة مواردهم وتعددها، واتصالهم بالعالم الخارجي، يحصلون منه على كل ما يريدون، بيد ان عدم وجود أي اتصال او ارتباط أو تعاون بينهما، وتفرد كل منهما بالعمل لحسابه الخاص، ومن دون أن يفكر حتى بالاتصال بحليفه، ضمن لها التفوق والفوز في النهاية .. ويجب ألا ننسى ما للعقيدة والايمان من تأثير، فقد كان النجديون يقاتلون دفاعاً عن عقيدة آمنوا بها وملكت عليهم نفوسهم، في حين ان خصومهم كانوا يساقون الى القتال سوقاً، لا عقيدة، ولا ايمان، اقصى همهم الفرار والعودة الى اهلهم وذويهم .

وهنالك نقطة أخرى نحب ان ننبه اليها، وهي ان الحرب كانت في تلك المرحلة، سواء مع اتراك العراق، او مع اشراف الحجاز، كر وفر، أشبه ما تكون بالحروب البدوية، فلا خطوط دفاع، ولا مراكز تموين، ولا مدفعية منظمة . على ان الحال تحول، حينما تولى «باشا» مصر العمل في المرحلة القادمة، فأدارها حرباً نظامية، لم تكن معروفة من قبل داخل الجزيرة .

حرب العراق

كان حكام العراق اسبق بالعدوان على نجد، وأسرع الى التحرش بها وارسال القوى لقتالها، دون ان تعتدي عليهم او تدنو حتى من حدودهم، وذلك بايعاز الاستانة كما نرى .

ويقول الشيخ ابن بشر وهو يسجل اخبار السنة الحادية عشرة بعد المائتين والالف، ان ثويني السعدون، شيخ قبائل المنتفك، سار في شهر المحرم من هذه السنة، بالعساكر والجنود النظامية، وأهل الزبير، وبوادي شمر، وطي وغيرهم، ومعه كمية كبيرة من المعدات وآلات القتال والبنادق والمدافع ما بلغت حمولته ٧٠٠ جمل، لمهاجمة نجد .

وحكومة بغداد هي التي امرت باعداد الحملة وسلحتها وأرسلتها للعدوان . وكان هناك اتفاق سري، عقده قائد الحملة مع عبد المحسن بن سرداح شيخ

عشائر بني خالد ، عدو الدعوة الألد ، يقضي بأن ينهض هذا بجموعه وعشائره ، فيأتي الى القصيم فينضم الى حملة ثويني ويشترك معها في القتال وفي بلوغ الدرعية، وكان احتلالها هدفهم الأوحد .

وبدأت حملة ثويني العمل بمهاجمة قرية «التنومة» من قرى القصيم ، فضربتها بمدافعها ، ونهبتها ، واستأصلت سكانها ، إلا من استطاع الفرار . ومشت بعد ذلك الى «بريدة» احدى عاصمتي القصيم ، فقاومتها ، فحاصرتها . وجاءت اخبار الى ثويني ، وهو مقيم على الحصار ، اضطرب لها ، فقد شبت فتنة في بلده وبين قومه ، فأسرع بالعودة الى العراق . وكان ذلك أيضاً مصير جموع بني خالد التي وصلت بعد رحيله ، فعادت ادراجها ، لأنها ادركت عجزها عن اثارة الحرب لوحدها .

ولم تسكت الدرعية على هذا العدوان ، ولم تتغاض عنه ، بل ردت بمثله فسار سعود (ولي العهد) سنة ١٢١٤ ، على رأس جيش كبير جمعه من حاضرة نجد وباديتها ، نحو الشمال ، أي نحو حدود العراق ، فالتقى بثويني والذين معه في ديرة بني خالد من ارض الصمان ، احدى بوادي نجد ، فأغار عليهم ونهب اموالهم وحلالهم .

وأعدت الدرعية حملة اخرى، قادها سعود ايضاً، فسارت حتى بلغت المكان المسمى بـ «الروضتين» بين الطلاع وصفوان (اراضي الكويت في الوقت الحاضر) فالتقت ببعض خصومها ، فناوشتهم وشتتتهم .

وعاد ثويني نفسه ، فأعد حملة أكبر من تلك ، بالاتفاق مع سليمان بك والي بغداد ، حشد لها عربان المنتفك ، وأهل الزبير ، والبصرة ، وقبائل ، المنطقة وبني خالد ، وسار حتى الجهراء (اراضي الكويت الآن) ، فأقام فيها نحو ثلاثة اشهر يوالي جمع القوى والحشود والجنود . ولما أتم استعداده اركب جنوده السفن ، فأبحرت بهم الى القطيف ، وسار منها الى الطف ، ثم رحل فنزل على الشباك ، وهو ماء معروف في ديرة بني خالد .

وكان الامام عبد العزيز يراقب من قصره في الدرعية ، حركة اعدائه ويواصل الاستعداد للقائهم . وكانت التعليمات التي اصدرها الى خادمه محمد بن معيقل ، تقضي عليه بأن يسير بأهل الخرج ، ووادي الدواسر ، والافلاج ، والوشم ، وسدير ، والقصيم ، وشمر ، وينزل بجوار الطف ، وهو ماء معروف في ديرة بني خالد ، كما اصدر امراً آخر الى سكان البادية من مطير ، وسبيع ، والعجمان، واهل السهول وغيرهم، بأن يقصدوا ديرة بني خالد، بأهلهم ومواشيهم ويتفرقوا في مياهها ، ويحتشدوا بجوار المنطقة التي تنزلها الحملة .

وحشد اهل العارض وغيرهم ، وسار على رأسهم حتى نزل روضة التنهات (بجوار الدهناء) ، فأقام فيها مدة ، ثم اتجه نحو الماء المعروف بـ «حفرعك» فأقام عنده يرقب سير الحوادث ويتأهب لها .

وحدث ، والفريقان يواصلان التأهب لخوض المعركة الفاصلة ، حادث مفاجىء ، حل المشكلة وأراح نجداً من الحملة وشتت شملها . وخلاصة ما وقع ان عبداً من عبيد جبور بن خالد ، طعن ثويني السعدون وهو في مجلسه وعنده بعض خواصه ، بحربة بين كتفيه ، كان فيها حتفه . ومع ان رؤساء جيشه كتموا الحادث ونادوا بأخيه ناصر خلفاً له ، إلا أن انتشار الخبر احدث ذعراً بين القوم ، فولوا مدبرين لا يلوي أحـــد على أحد ، فلحقت بهم قوى نجد تطاردهم وتنكل بهم ، واستمرت تضرب في أقفيتهم حتى الكويت ، وغنمت منهم غنائم عظيمة .

وكان فوزاً عظيماً .

غارات نجدية على العراق

كانت حكومة بغداد ، هي التي بدأت نجد بالعدوان ، وأرسلت القوى لقتالها ، من دون ان تسيء اليها ، او تعتدي عليها ، ولئن سلمت ونجت فذلك من عمل الاقدار ، ولها حكمها النافذ ، وأمرها المطاع .

ورأى الامام عبد العزيز ، انه لا بد له من عمل عسكري يعمله على حدود العراق ، ولو من باب المقابلة بالمثل ، فأعدّ حملة كبيرة قادها بنفسه ، فاخترقت حدود العراق ، وأوغلت حتى بلغت مدينة «سوق الشيوخ» من اعمال المنتفك ، فهاجمتها وفتكت بسكانها ، ثم مرت بالسماوة على سيف البادية ، فهاجمت العربان الذين كانوا محتشدين هنالك من بادية شمر ، والظفير ، وآل بعيبج ، والزقاريط ، فأوقعت بهم .

الترك يعيدون الكرة

وكبر على سليمان باشا ، والي بغداد ، ان تصاب قواه بالهزائم ، وان يغزو النجديون بلاداً يحكمها ، ويكتسحوا حدودها ، فأعد حملة كبيرة ولى قيادها نائبه علي بك ، أي انه نقل القيادة من شيخ عربي الى ضابط تركي يثق به ويعتمد عليه ، وحشد له حشداً كبيراً من الاكراد الذين يثق بهم أيضاً .

واتخذ قائد الحملة مدينة البصرة قاعدة له ، وحشد لها كالعادة عربان المنتفك بقيادة رئيسهم الجديد حمود بن ثامر ، وآل بعيبج ، والزقاريط ، وآل قشعم ، والظفير ، وشمر ، وأهل الزبير ، وجمع بوادي العراق ، يضاف الى ذلك مدفعية قوية ، ومعدات زائدة .

وسارت الحملة بحراً الى الحسا ونزلت فيها ، وانضم اليها هنالك بعض اهل القرى الشرقية .

وهاجمت الحملة حصن المفوف ، فاستعصى عليها ، فضربت حوله حصاراً فامتنع عليها .

وملّ رجال الحملة الاقامة في «الحسا» ، دون حرب ولا قتال ، والبدوي ملول بطبيعته ، لا يعرف الحصار ولا يؤمن به ، ولا يعرف المرابطة أمام الحصون ولا يزاولها ، فأخذوا يتسللون عائدين الى بلادهم .

ووصل في تلك البرهة ، سعود بن عبد العزيز ، على رأس جيش كبير الى الحسا ، لمنازلة الحملة ، فلما علم بارتحالها وتشتتها ، أسرع فرابط على الماء المعروف باسم «ثاجر» في ديرة بني خالد ، لقطع الطريق عليها ، تمهيداً للايقاع بها .

ودارت مناوشات بين الفريقين ، انتهت بعقد اتفاق يسمح لكل فريق ان يعود الى دياره بدون حرب .

الهجوم على كربلاء

وأغار رجال الوالي سليمان باشا على قافلة للحجاج المسافرين بطريق النجف ـ حايل ـ المدينة ، بحماية آل سعود ، ونهبوها وأوقعوا برجالها ، نكاية بالسعوديين وانتقاماً منهم . وزادت حكومة بغداد ، فمنعت السفر الى نجد .

وأثار هذا العدوان الفظيع على حجاج بيت الله الحرام ، ثائرة اهل نجد ، فقاموا بحركات واسعة على حدود العراق الجنوبية ، وأوغلوا في زحفهم فبلغوا منطقة الفرات الاوسط ، وهاجموا مدينة كربلاء ، واشتبكوا مع سكانها وأوقعوا بهم ، ونهبوا كل ما كان في مسجد الحسين من تحف ومصاحف ثمينة كما نهبوا اموال السكان وفتكوا بهم .

وكان ذلك نهاية حروب العراق في هذه المرحلة .

حروب الحجاز

صلة الحجاز بنجد ، اوثق من صلتها بالعراق ، وروابطهما اقوى وأمتن ، وحدودهما غير واضحة ولا مرسومة ، هذا فضلاً عن ان اشراف مكة ، كانوا يعتبرون بلاد نجد ، وخصوصاً المجاورة للحجاز ، مشمولة بنفوذهم وخاضعة لهم ، وكانوا يواصلون ارسال الحملات عليها لتأديبها وجباية الزكاة من أهلها .

وتابع الاشراف سير الدعوة باهتمام ، وما كانوا ، كأكثر الناس في ذلك العهد ، يتوقعون لها نجاحاً ، على ان نظرهم اليها ، اخذ يتبدل بعد ان شرقت وغربت

وضمت معظم مقاطعات نجد اليها ، وأدخلتها في دائرة طاعتها، وأنشأت فيها دولة جديدة بحسب حسابها . ومـــا قامت فيهـا دولة من قبل ، بلغت ما بلغته ، ووصلت الى ما وصلت اليه .

وهناك حقيقة لا بد لنـــا من تقريرها ، وهي ان آل سعود ، لم يبدأوا الاشراف بالعدوان ، ولم يستفزوهم ، ولم يأتوا بما يشتم منه رائحة التحدي لهم ، بل سعوا سعياً حثيثاً للتفـاهم معهم ، ولاقناعهم بحسن نيتهم وصادق رغبتهم في انشاء افضل علاقات الود والصداقة معهم، فلم يجدوا تجاوباً ، ولم يلمسوا عطفاً، بل ولا ميلًا للتفـاهم والتواصل ، اذا لم نقل العكس ، وهو ان الاشراف هم الذين بدأوا بالتحدي والاستفزاز ، وعمـلوا لتشويه سمعة الدعوة واظهارهـا على غير حقيقتها .

لقد كانت مكة في ذلك العهد ، حاضرة كبيرة من حواضر الثقافة في العالم الاسلامي ، ومركزاً كبيراً من مراكز الدعاية ، بسبب وفود الحجـاج سنوياً اليهـا من جميع انحـــاء هذا العــــالم ، فكان الاشراف يرسلون دعاتهم ، فيندسون بين الحجاج ، فيصفون لهم الحـــالة في نجد ، ويبكون وينوحون ، ويشقون الجيوب ، ويلطمون الخدود أسفاً على الأضرحة والقباب التي هدمتهـا الدعوة ، وعلى منعها الاستغاثة بقبور الأولياء والصالحين ، وحملهـــا الناس على اتباع سيرة السلف الصالح والاهتداء بهديه ، ومقاومتهـــا البدع والخرافات ، ويقولون انها تحارب الاسلام وتقضي عليه ، وتنشر ديناً جديداً ونحلة جديدة ، يبرأ منها الاسلام وينكرها .

ووصلت اخبـار هذه الحملة المفتراة الى نجد ، وعرف ابناؤهـا ان الاشراف يحاربون الدعوة حرب دعاية عنيفة ، فرأوا بادىء ذي بدء ، وقبل اتخاذ اي اجراء او تدبير عسكري ، ان يسعوا للتفاهم معهم عن طريق وفد يرسلونه اليهم فيطلعهم على حقيقة حركتهم ويصف لهم الاغراض التي ترمي اليها ، والمبادىء السامية التي انبثقت عنها ، ويذكر النتائج الباهرة التي ادركتها ، فقد استطاعت

في خلال سنوات قليلة ، ان تنقذ شعب نجد من الجهالة التي كان يخب فيها ، وتنشيء مجتمعاً جديداً يؤمن بالتوحيد ويتفانى في سبيله، ويعتنق مذهب السلف الصالح ، ويهتدي بهديه ، ينبذ التواكل ، ويكفر بالبدع والخرافات ، ويعمل لاعلاء كلمة لا إله إلا الله. واختار الامير عبد العزيز بن سعود الشيخ عبدالعزيز الحصيني لهذه المهمة ، أوفده سنة ١١٨٥ الى الشريف احمد بن سعيد ، مع هدايا وكتاب خاص ، انطوى على الرغبة الصادقة في التفاهم والاخذ بمباديء (التعايش السلمي) على طريقة أهل هذا العصر ، ذلك ان شعار الدعوة ، هو نشر السلام والتفاهم مع الناس عن طريق الاقناع والبرهان ، لا عن طريق العنف والقوة . وأتصل الشيخ عبد العزيز ، وهو اول موفد رسمي للدعوة الى الحجاز ، بعلماء مكة ، وتلا عليهم بياناً مطولاً عن الدعوة وعن المباديء التي انبثقت منها ، وعن الاغراض التي ترمي اليها ، وعن النتائج التي أدركتها ، وقال ان مذهبنا هو مذهب الامام أحمد بن حنبل ، وهو أحد المذاهب الاربعة التي انعقد عليها الاجماع عند اهل السنة والجماعة ، لا نخرج منه ، ولا نحيد عنه ، وهو يحض على هدم القباب ، ويمنع الاستغاثة بالصالحين وطلب شفاعتهم ، وهذا كل ما فعلناه.

وارتاح علماء مكة الى ما سمعوا ، ويقول ابن غنام مؤرخ نجد ، وقد عاصر الرحلة ودوّن اخبارها ، واورد تفاصيلها ، انها نجحت نجاحاً باهراً ، وأذابت الثلوج التي كانت تغشى علاقات البلدين ، ونسفت الداعية الباطلة التي كانوا يدعون بها ضد نجد واهلها .

وانتقلت الامارة بعد وفاته الى شقيقه الشريف مسعود بن سعيد ، وكان أصلب عوداً من اخيه ، وأميَل الى الشدة والعنف، فاستأنف الامام عبد العزيز الاتصال به ، عاملًا على انشاء افضل العلاقات معه ، وبدأ فأرسل اليه وفداً من علماء نجد ضم ٣٠ عالماً لمساجلة علماء مكة ومناظرتهم واقناعهم عن طريق الدليل والبرهان ، بأن نجداً تأخذ بما اخذ به السلف الصالح وتسير سيرته ، وأنها تتبع مذهب الامام أحمد بن حنبل ، دون ميل ولا انحراف .

وبدلاً من ان يستقبل الوفد ، وهو رسول سلام ، بما يجب له من الحفاوة والتكريم ، أصدر أمراً باعتقال العلماء القادمين وزجهم في السجن ، دون ان يدع لهم فرصة الاتصال بالعلماء المكيين ، فيناظروهم ويعملوا للتفاهم معهم .

وليته وقف عند هذا الحد ، فقد جاء بقاضي مكة ، وأمره أن يصدر فتوى بتكفير أهل نجد ، وخروجهم عن الجادة. وقد كان لهذا التصرف المنكر ازاء رسل نجد وعلمائها ، الذين جاءوا ينشدون التفاهم ويدعون للسلام والوئام ، أسوأ تأثير في نفوس النجديين كافة ، فادركوا ان القوم في مكة يتأبطون الشر لهم ولدعوتهم ويأتمرون بها ، ويسعون للقضاء عليها .

ولم يحرج مـا جرى عبد العزيز ، ولم يحفزه على اتخاذ اي تدبير مماثل ، استبقاء للعلاقات الاخوية ومحافظة عليها ، ورغبة في التفاهم والوصول اليه .

وانتقل منصب الامارة بعد ذلك ، الى الشريف منصور ، فاغتنم امير نجد الفرصة ، وكتب اليه مبدياً رغبته في الوفود الى الحجاز لاداء فريضة الحج — كما طلب اليه التصريح لوفد من علماء نجد بالقدوم الى مكة لمناظرة علمائها ، ولاقامة الدليل على ان نجداً لم تخرج عن الشريعة ، ولم تبتعد عن نهج السلف الصالح . وبديهي أن في الحاح البيت السعودي هذا الالحاح ، باجراء مناظرة بين علماء الدين في القطرين — ما يثبت وثوقه من صحة المبادىء التي تقوم عليها دعوة نجد ، ولولا ذلك لمـا اجمع اشراف مكة الواحد تلو الآخر على رفض المساجلة — ولما تمسكوا بموقفهم السلبي .

وعاد الأمير فكتب الى الشريف سرور ، عندما انتقل الامر اليه ، ليعلن رغبته في الوفود الى الحجاز ، لاداء فريضة الحج، فرد عليه بأنه يأذن له بالوفود ضمن الاطار الآتي :

١ — ان يأخذ منه ما يأخذه من الاعجام ، من الضرائب والمكوس [١] .

---

١) كانت القاعدة المتبعة ان يدخل النجديون الحجاز دون قيد ولا شرط ، ودون ان يكلفوا دفع أي ضريبة .

٢ - ان يرسل اليه ١٠٠ من جياد الخيل .

وكان الرد بالرفض .

واستؤنفت المساعي ، حينما انتقل الأمر الى الشريف غالب بن مساعد ، وكان الجواب دائماً بالرفض ، مما أنشأ جواً من التوتر والجفاء ، خصوصاً ومكة طبقاً لأحكام الشرع بلد آمن ، يدخله كل مسلم ، دون اي قيد ولا شرط ، يضاف الى ذلك ، ان منع المسلمين من اداء فريضة الحج ، دون سبب معقول ، أمر غير جائز .

ورأى الشريف غالب هذا ، ألا يكتفي بمنع النجديين من دخول الحجاز واداء فريضة الحج ، فأعد جيشاً من البدو والانصار ، زحف من مكة سنة ١٢٠٥ ، يريد الدرعية ، فكان ذلك فاتحة هذا النضال العنيف بين آل سعود والاشراف ، وقد استمر نحو ١٤٠ سنة (١٢٠٥ - ١٣٤٤) وانتهى بفوز الاولين ، وبخروج الآخرين .

ونحن نتابع الاحداث ونرافقها في تطورها، ونرسم لها صورة واضحة المعالم، خالية من كل تحيز او مبالغة .

المعركة الأولى

قاد الشريف عبد العزيز بن مساعد ، شقيق الشريف غالب ، الحملة الاولى ، وقدّر عدد رجالها بعشرة آلاف مقاتل ، مسلحين بعشرين مدفعاً ، مع كثير من المعدات .

وكانت الدرعية وجهتها ، واخضاع نجد غايتها .

وانضم الى الحملة كثير من عربان بوادي الحجاز وغيرهم من مطير وشمر من اعداء الدعوة ، أملًا بالغنائم والانتقام .

وواصلت الحملة تقدمها حتى بلغت «قصر بسام» في السراة ، فوقفت عنده

وضربته بالمدافع ، فاستعصى ، فحاصرته نحو عشرة ايام ، مع ان عدد رجال حاميته ما كان يزيد عن ٣٠ ، فتركته وواصلت السير حتى قرية « شقرا » في عالية نجد .

ولحق الشريف غالب بن مساعد أمير مكة بنفسه بالحملة ، ومعه بعض الامدادات ، وانضم اليها في منازلة قرية شقرا ، ولكنها ثبتت وقاومت . وقد استمر حصارها نحو شهرين مما أزعج رجال الحملة ، فارتحلوا عائدين الى الحجاز بعد ان خسروا عدداً من القتلى .

وتفرق عربان نجد والحجاز من الذين انضموا الى الحملة ، بعد عودتها فاشلة مخفقة ، وعاد كل فريق الى ديرته ، ونزل عربان مطير وشمر في طريق عودتهم على الماء المعروف بـ«العدوة» قرب حايل، فلحق بهم سعود وقاتلهم قتالاً شديداً فانهزموا في نهايته . على انهم أعادوا الكرة بعد قليل ، فكان الفشل نصيبهم .

المعركة الثانية

كان الدور في هذه الحملة للدرعية، فرأت ان تهاجم الحجاز وتضرب الشريف وأنصاره في عقر دارهم ، عملاً بقاعدة المقابلة بالمثل ، فقاد الامير سعود في شهر ذي القعدة سنة ١٢٠٩ حملة كبيرة ، واصلت السير حتى «تربه» [1] ، فحاصرتها فامتنعت عليها ، وصالحها في النهاية بعض اهل البلد ، فقفلت عائدة الى نجد .

المعركة الثالثة

وأعد الشريف غالب بن مساعد في السنة التالية (١٢١٠) حملة جديدة ولى قيادتها فهد الشريف ، فسار بجموعه نحو «عالية نجد» وأغار على قبيلة قحطان ،

---

١) اول مدن الحجاز من ناحية الشرق ، وفيها دارت المعركة الفاصلة سنة ١٣٣٨ بين الاخوان وبين جيش الامير عبدالله بن الحسين حينما تقدم يريد الرياض، ولم تقم للدولة الهاشمية بعدها قائمة . وسترى التفاصيل في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

فدار قتال عنيف بينهما بجوار ماء «ماسل» انتهى بفوز الحملة .

وردت الدرعية على الفور ، فسار محمد بن معيقل بأهل شقرا ، والوشم ، وغيرهم ، واخترق حدود الحجاز وهاجم منازل قبيلة عتيبة بجوار «مران» الماء المعروف بجوار مكة ، فهزمهم وغنم غنائم كثيرة .

وقاد الامير سعود في السنة نفسها ، حملة هاجمت قبيلة بني عتيبة وغيرهم ونكل بهم .

المعركة الرابعة

واستأنف الشريف غالب الكرة ، فأعد سنة ١٢١٠ حملة ، ولى قيادها ناصر بن يحي الشريف ، فواصلت التقدم حتى ماء « الجمانية » في عالية نجد ، فنزلت بجواره ، وشرعت تستعد للنضال بعدما انضم اليها كثير من عربان الديرة .

وأصدر الامير عبد العزيز أوامره الى محمد بن ربيعان، ومن معه من عربان عتيبة ، وفيصل الدويش ومن معه من عربان مطير ، والى عربان السهول وسبيع ، والعجمان وغيرهم من بوادي نجد ، بالمسير الى عالية نجد فينضموا الى هادي بن قرملة رئيس عربان قحطان . وأصدر مثل هذا الامر ، الى عربان وادي الدواسر .

ودارت المعركة بينهم وبين حملة الشريف، بجوار ماء الجمانية نفسه ، وانتهت بهزيمتها وتشتت شملها .

المعركة الخامسة

وفي سنة ١٢١٢ ارسل الشريف غالب ، حملة اغارت على فريق من عرب قحطان وكانوا عند «عقيلان» المعروف دون بيشه في الحجاز .

وأرسلت الدرعية ، حملة الى ديار «بيشه» والجنية ، فنازلت اهلها وحاصرتهم ولم تتركهم إلا بعدما دخلوا في الطاعة . ولما بلغ ذلك الشريف غالب ، أرسل اليهم حملة بقيادة فهيد بن عبدالله الشريف ، فحاصرهم وأعادهم الى طاعته ، ثم قصد «رينه» من مدن الحدود ، فدار قتال شديد بينه وبين اهلها .

المعركة السادسة

وصلت الى مكة اخبار ، بأن حمود بن ربيعان ومن معه من عتيبة وعربان الحجاز ، وصلوا الى الدرعية ، ودخلوا في الدعوة ، وبايعوا على السمع والطاعة ، فأهمّ ذلك الشريف غالب وأقلقه ، فأعد حملة سار على رأسها الى عالية نجد وهاجم عربان قحطان ، فدار قتال كانت نهايته في مصلحته .

ثم سار بالحملة ، فنزل بجوار ماء القنصلية قرب «تربه» ، فلحق بها عربان قحطان ، ونزلوا قرب رينه ، فتجدد القتال بينهما .

ودخلت قبيلة البقوم ، وهي حجازية تنزل في مناطق الحدود ، بالدعوة ، وقدمت الطاعة .

المعركة السابعة

واغتنم الشريف غالب ، فرصة خروج الامير سعود ، على رأس حملة كبيرة الى الشمال ، فجند حملة حشد فيها كل من استطاع حشده من المقاتلة ، وخرج على رأسها (شوال سنة ١٢١٢) متجهاً نحو نجد ، وواصل تقدمه حتى بوادي قحطان ، فقاتله عربها ، ثم اتجه الى وادي « رينه » وكانت داخلة في الدعوة ، فقاتلها ، فقاومته ، ثم ارتحل منها الى بيشة [1] ، ونازل أهلها وقاتلهم وقاتلوه ،

١) « بيشة » ، واد كبير يبلغ طوله نحو ٣٥٠ كم. وهو معمور وفيه كثير من القرى والمزارع .

وانتهى الامر بدخولهم في طاعته ، ثم اتجه نحو الحرما وهي واحة معروفة بجوار تربه فنزل فيها .

وأرسل الامير سعود ، حينما جاءه نبأ هذه الحملة ، وكان لا يزال يغزو في الشمال ، تعليمات الى ربيع بن زيد ، أمير البوادي ، بأن ينهض بمن معه من الدواسر ، للقاء الشريف ، فسار الى الحرما وقاتله وهزمه وشتتت حملته .

ولقد كانت هذه المعركة ، آخر ما دار ، فقد فتحت الطريق الى مكة ، بعدما خضدت شوكة الشريف وذهبت بقواه .

هدنة وصلح موقت

جنح الشريف غالب بن مساعد ، بعد هذه الهزائم التي أصيبت بها حملاته ، وبعد ان استنفد جهده في المقاومة ، الى الصلح والسلام ، فدارت في سنة ١٢١٣ محادثات بينه وبين الدرعية ، انتهت بالاتفاق على انهاء حالة الحرب ، واقامة صلح وسلام ، بشرط السماح لأهل نجد بالوفود الى الحجاز ، وتأدية فريضة الحج .

وعملاً بأحكام هذا الاتفاق ، وصل الامير سعود الى مكة ودخلها بموكب ضخم ، ومعه عدد كبير من أهل نجد ، حاضرة وبادية ، فاعتمروا وحجوا وعادوا الى بلادهم .

وكانت الحجة الاولى للأمير سعود ، وكانت في موسم سنة ١٢١٤ .

وعاد الامير سعود بعد دخول مكة ، فحج للمرة الثانية سنة ١٢١٤ ، وحج للمرة الثالثة سنة ١٢١٥ ، واجتمع في هذه المرة بالشريف غالب وتحدث اليه ، كما استقبل وفود العلماء ، ووزع الصدقات .

وعادت الحالة فاضطربت ، وعاد كل فريق الى حسامه فامتشقه . ويقول مؤرخو نجد ان سبب نقض الهدنة هو خلاف نشب بين الشريف غالب ، وبين وزيره عثمان بن عبد الرحمن المضايفي ، غادر هذا على أثره مكة وجاء الى

الدرعية ، فبايع الامير على السمع والطاعة ، ثم قصد « العبيلا » وهي بلدة معروفة بين تربه والطائف وأقام فيها. فأعد الشريف غالب حملة سار على رأسها لمنازلته واخضاعه ، فدار قتال امتد اياماً ، عاد بعده الشريف الى الطايف دون ان ينال من خصمه منالاً .

وأرسل المضايفي الى نجد يستنفرهـا ويستصرخها لمساعدته ، فاستجابت له وأقبلت لنصرته ، فسار الى الطائف ، وكان الشريف مـا يزال ينزلها فهاجمها ، فارتد الشريف والذين معه الى مكة ، فلحق بهم اليهـا ودخلها باسم الامير عبد العزيز سنة ١٢١٧ ، فأصدر هذا أمراً عينه بموجبه والياً على مكة والطائف .

ووصل الامير سعود بعدما جاءته اخبـار هذا الانتصار ، الى الحجاز على رأس جيش كبير ، ونزل بوادي العقيق بجوار المدينة .

وانسحب الشريف غالب الى جدة ورابط وراء أسوارهـا ، ودخـل سعود والذين معه مكة محرمين وأدوا فريضة الحج (موسم سنة ١٢١٧) وأعطى الامير الامان لأهل مكة ، وهدم المشاهد والقباب والاضرحة طبقـاً للطريقة المتبعة عندهم ، كما ارسل حملة الى جدة ، فقاومها الشريف ودافع عنهـا وكانت محصنة .

وأرسل الشريف غـالب من جدة ، الى الامير عبد العزيز طالبـاً الصلح وواعداً بالطاعة ، فاستجاب له وأعاده الى منصبه .

ولم يطل الامام الاقامة في مكة ، بل غادرها وحاشيته الى نجد بعد ان أقام فيها حامية قوية لحفظ الامن وتنفيذ الاحكام .

وهكذا أسدل الستار على حرب الحجـاز الاولى ، وكانت في نهايتهـا نصراً عظيماً لنجد وأبنائها .

الاستيلاء على عسير

عسير مقاطعة جبلية واسعة ، تقع بين الحجاز واليمن ونجد ، قاعدتها مدينة «ابها» ، وكانت خاضعت عند قيام الدعوة لشيوخها وللأشراف من آل خيرالله وكانوا يسيطرون على اجزائها الغربية .

ووصل الى الدرعية في سنة ١٢١٥ محمد بن عامر الشهير بأبي نقطة ، وأخوه عبد الوهاب، وهما من آل المتحمي من قبيلة ربيعة بن رفيدة، احدى قبائل عسير الكبرى ، فدخلا في الدعوة وأبديا استعداداً للعمل تحت لوائها .

ولم يتردد الامير عبد العزيز بالموافقة ، وكانت جيوش الدعوة ترابط على حدودها ، وكان دعاتها ورسلها قد انتشروا بين قبائلها ، يدعون اهلها الى الدخول فيها ، ويشرحون مزاياها وفوائدها . وأصدر الامام أمراً الى ربيع بن زيد امير وادي الدواسر (احد اودية نجد الجنوبية) بأن يغزو بلاد عسير متعاوناً مع محمد بن عامر واخيه . وما انقضى ذلك العام حتى دخلت عسير السراة في الدعوة وانضمت اليها .

وانبثت سرايا الدعوة في داخل المقاطعة ، بالاشتراك مع قبائل عسير التي انضمت اليها ، فاستولت على مدينة بني شهر شمالاً، وعلى المخلاف السليماني غرباً، وبسطت سيادتها على المقاطعة كلها ، وولى الامام عبد العزيز، بعد انتهاء الاعمال العسكرية محمد بن عامر ابو نقطة امارة عسير السراة وما اليها . وتوفي هذا بعد سنتين ، فعين الامام في سنة ١٢١٧ اخاه عبد الوهاب خلفاً له ، مشترطاً عليه منازلة الشريف حمود أبومسمار صاحب «أبو عرايش» احدى مدن تهامة، وكانت تعتبر عاصمتها .

وزحف عبد الوهاب هذا على رأس حملة كبيرة ، فاستولت على ابو عرايش، وأدخلت الشريف حمود في الطاعة . وانضمت قبائل عسير الى السعوديين في

حروب الحجاز ، كما انضم اليهم الشريف حمود نفسه واشترك في المعـــارك التي دارت . ويقول مؤرخو عسير ان عبد الوهاب زحف الى الحجاز في جمع عظيم من قبائل عسير ورابط بالقرب من جبل يلملم ، ويقع في جنوب مكة ، ويبعد عنها نحو ٥٠ ك. وغزا الشريف غالب ١٣ غزوة كانت موفقة وناجحة .

وسقط عبد الوهاب قتيلاً في المعركة التي دارت بينه وبين الشريف حمود ابو مسمار في سنة ١٢٢٥ عندما نقض بيعة السعوديين وانحرف عنهم ، فاختار سعود الكبير ، وكان الحكم قد انتقل اليه ، طامي بن شعيب بدلاً عنه ، فقام بعدة غزوات كان أهمها اشتراكه مع عثمان المضايفي ، امير الحجاز في العهد السعودي في قتال الشريف حمود ابو مسمار في مكان اسمه وادي وحلة ، دارت فيه الدائرة على جيش الشريف حمود .

مقتل الامام عبد العزيز

في يوم ١٠ ، وقيل ١٨ رجب سنة ١٢١٨، والامام عبد العزيز يؤدي صلاة العصر في مسجد الصريف بالدرعية ، وفي الركعة الثانية ، انقض عليه درويش وطعنه بخنجر كان يخفيه في طيات ثيابه ، فمات على الاثر ميتة عمرية كريمة .

ووثب الناس على القاتل فقتلوه ، وقيل انه تصارع مع عبدالله أخي عبد العزيز ، وكان يؤدي الصلاة فقتله .

وجرى آل سعود بعد هذه الجريمة النكراء ، على ان يقف حارسان من رجال الامام الاشداء ، على رأسه وهو يؤدي الصـــلاة ، فلا تتكرر جريمة الصريف .

وكل ما عرف عن الجاني ، انه كردي من ابناء العمادية من اعمال الموصل بالعراق ، وان اسمه عثمان، وانه وفد الى الدرعية سنة ١٢١٧ يتزيا بزي درويش ويتظاهر بالتقوى والتدين ، وكان يلزم المسجد ولا يبرحه، مما أثار شكوكاً في

بعض النفوس ، فأراد بعضهم طرده ، ولكن الامام عبد العزيز حماه بحجة انه لم يبدر منه ما يؤاخذ عليه ، وكان يعينه ببعض ما يقوم بأوده .

وانقضت ايام وأسابيع وهو مستغرق في العبادة، عاكف عليها حتى اكتسب الثقة العامة وصار يتجول كيف يشاء .

ولما ادرك انه صار في مقدوره ان يؤدي المهمة التي انتدب نفسه لادائها ، وثب وثبته ، وفعل فعلته .

وقيل في تعليل السبب الذي دفعه الى ارتكاب الجريمة وبذل نفسه ، هو الانتقام لما أنزله النجديون بمدينة كربلاء ومسجد الحسين فيها ، حين غارتهم عليها سنة ١٢١٦ (انظر ص ٦١) فقد أهاج ما جرى ، العالم الشيعي ، فتحمس عثمان وبذل نفسه في سبيل الانتقام .

عهد الامام سعود الكبير

ونودي بسعود على الفور ، أميراً للبلاد واماماً ، وقد سبق والده فعهد اليه بولاية العهد منذ سنة ١٢٠٢ .

والتفت نجد حول الامام الجديد ، وقد عرفت فيه المروءة والاقدام والشجاعة والنجدة ، عدا بلائه في الحروب التي اثبت انه بطلها المجرب، وفارسها المغوار . ويضيف مؤرخو نجد الى اسمه لقب الكبير ، تعظيماً له ، وتكريماً لقدره ، وهو ما امتاز به وحده .

ولقد كان عهده ، العهد الذهبي للدولة الجديدة ، بلغت فيه منتهى القوة والعزة ، فبسطت نفوذها على الحجاز واستولت على بعض اجزاء اليمن ، وأخضعت الخليج ، ودقت ابواب الشام ، وغزت بعض مدن العراق، وصارت أقوى دول العرب وأعظمها شأناً ، مما أرهب الدولة العثمانية وأقلقها ، وكانت عدوة لكل حركة فيها معنى البعث العربي ، خوفاً على مقامها في البلاد العربية ، وجعلها تنهض لمقاومتها بواسطة العراقيين والاشراف .

على ان عهده كان أقصر من عهدي ابيه وجده ، فهو لم يمتد اكثر من ١١ سنة ، اي من سنة ١٢١٨ حتى سنة ١٢٢٩ ، ورغم ذلك ، فانه كان أحفل بالأحداث الكبرى ، وقد شهد أوائل سني الغزو المصري، ومات وهو لا يزال في دوره الاول .

وفي عهده ، وللمرة الاولى ، صارت للدولة سياسة خارجية ، فأنشأ علاقات مع الانكليز في الهند وكاتبهم وكاتبوه ، مما تراه مفصلاً في هذا الباب . كما أنشأ علاقات مع نابوليون الفرنسي بمصر .

فتوحات سعود الكبير وغزواته

كان عهد سعود الكبير حافلاً بالأحداث كما قلنا ، طافحاً بأخبار الغزوات التي غزاها ، والفتوحات التي فتحها ، والمعارك التي خاضها ، فهو لم يكد يعرف الهدوء والراحة في ساعة من ساعاته ، ولا في يوم من أيامه .

غزو البصرة وجنوبي العراق

وكان اول ما فعله عقب بيعته ، انه أمر بالتعبئة العامة [1] ، لغزو جنوبي العراق . ولعله فعل ذلك ثأراً لدم أبيه وانتقاماً من الذين تآمروا عليه .

---

١) تختلف قواعد التعبئة العامة التي كانت متبعة عندهم ، عن نظم التعبئة المتبعة في الجيوش الحديثة. لقد كانت التعبئة تتم عندهم بالطريقة الآتية :

١ – يصدر الامام أمراً الى أمراء المقاطعات بأن يأتي كل واحد منهم ، بكل من لديه من الرجال الى مكان ويوم يحددهما .

٢ – يلبي هؤلاء الطلب ، فيأتي كل منهم بمن لديه من القادرين على القتال من سن ١٨ الى ٦٠ ومع كل واحد سلاحه الخاص وزاد يكفيه لمدة ثلاثة ايام .

٣ – بعد ان يتم اجتماع هذه الجموع في اليوم والمكان المحددين ، يصدر الامام أمره باسم الجبهة التي يراد الزحف عليها .

٤ – تظل التعبئة قائمة ومستمرة حتى يصدر الامام أمراً بانتهاء الأعمال العسكرية ، فيعود كل واحد الى بلده ويعود الى عمله الاصلي . ومعنى هذا انه لم تكن هنالك خدمة عسكرية ، ولا =

وكانت أوامر التعبئة تقضي بأن تكون قرية «التنومة» في القصيم مركز التجمع.

وجاء الامراء ، وجاء الرجال ، وجاء الامام أيضاً .

وصلى عيد النحر لذلك العام (١٢١٨) وهو في التنومة ، فعيّد ، ونحر ، وتصدق ، ثم اصدر أمراً الى عربان الظفير الذين في الحملة ، بأن يعودوا الى ديرتهم ، وتقع في المنطقة الشمالية ، معلناً بأن الغاية من التعبئة قد تحققت ، ولذلك فهو يعود الى الدرعية . وأصدر الامر بالرحيل اليها فعلاً .

لقد كانت للامام غاية مضمرة من وراء اعادته عربان الظفير الى ديرتهم ، لقد كان يريد من وراء التظاهر بالعودة الى الدرعية ، تضليل سكان الشمال وبعث الاطمئنان الى نفوسهم ، لكي يتسنى له اخذهم على غرة والايقاع بهم ، فينال منهم ما يريد نيله بدون كبير تعب ولا عناء ولا زائد تضحيات ، والحرب خدعة كما يقولون .

ويحدثنا ابن بشر في تاريخه (ص ١٤٠) بأن الامام سعود كان يتبع هذا الاسلوب في غالب غاراته ، فاذا أراد غزو اهل الجنوب ، أعلن انه يريد غزو الشمال وبالعكس ، ثم يعود بعد ان يبعث الاطمئنان الى نفوس اهل المنطقة التي يريد غزوها فيأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وينفذ فيهم ارادته .

وطبقاً للخطة التي رسمها ، سار بجيوشه نحو الدرعية للتضليل ، ثم اصدر بعد يومين امراً بالاتجاه نحو الشمال ، وكانت مدينة البصرة هي المقصودة بالذات .

والتقت الحملة وهي في طريقها الى الزبير ، بسرية لعرب المنتفك أو عرب

= تجنيد اجباري، ولا تدريب، ولا تمرين. فالكل جنود يدعون للعمل عند الحاجة ، ويعودون الى منازلهم بعد زوالها .

ولقد أخذت الدولة السعودية بالنظم الحديثة المتبعة في التعبئة مع تعديل يسير ، فقد أنشأت جيشاً طبقاً للأنظمة الحديثة ، له ضباط، ومدارس حربية ، وقواد ، ومدربون . على أنها لم تأخذ بنظام الخدمة العسكرية الالزامية ، اكتفاء بوجود الجيش الاهلي الذي أنشأته وأسمته «الحرس الابيض» ويتألف من متطوعة يدربون أيضاً على الأساليب الحربية الحديثة ، ويسلحون بالأسلحة الحديثة .

السعدون كما يقولون اليوم، نضربتها وأسرت قائدها منصور بن ثامر، وواصلت السير حتى مدينة البصرة، فأعملت فيها يد القتل والسلب والنهب.

وعادت الى مدينة الزبير، بعد ان أنجزت مهمتها في البصرة، فحاصرتها واكتسحتها وهدمت كل ما فيها من قباب ومشاهد، وفي جملتها القبة المقامة على ضريح طلحة، وتلك التي على ضريح الزبير. والصحابيان مدفونان هناك حيث كانت وقعة الجمل المشهورة.

وعادت الحملة الى الدرعية بعد ان أقامت ١٢ يوماً في الزبير[١]، مكللة بالنجاح والتوفيق.

١) تقع مدينة «الزبير» بجوار البصرة الى شرقها، والمسافة بينهما نحو ١١ كم، وغالب سكان الزبير من أصل نجدي.

العودة الى الحرب في الحجاز

هدأت الحرب في الحجاز عقب اتفاق سنة ١٢١٧ ، وبعد أن دخلت مكة في طاعة السعوديين ، فارتاح الناس وحج اهل نجد، وعلى رأسهم الامام سعود .

ووصلت اخبار الى الدوعية في أواخر سنة ١٢١٨ ، بأن الشريف غالب بن مساعد يأتي من الاعمال بما يخالف العهد الذي قطعه على نفسه ، فقد جاء بقوات من جدة وأخرج الحامية النجدية من مكة ، ووضع يده على الحكم واستقل به.

ويلوح لنا انه لم يفعل ما فعله إلا بعد ان جاءته اخبار حملة نابوليون وعودة الاتراك الى مصر بعد جلاء الفرنسيين عنها ، فتحمس واندفع معتقداً انه صار بامكانه ان يتخلص من سلطان نجد . وقد أثبتت الحوادث انه كان مخطئاً وكان متسرعاً .

وأصدر الامام سعود في شهر محرم سنة ١٢٢٠ أمراً ببناء حصن في وادي فاطمة بجوار مكة ، أقام فيه حامية قوية لمضايقة الشريف غالب وازعاجه ، كما أصدر امراً الى عبد الوهاب بن عامر عامله على عسير والمع وتهامة بأن يسير على رأس قواه الى جدة لمنازلتها ، وتلقى عربان الحجاز والخبت مثل هذا الامر .

ووصلت هذه الحملة الى مكان يسمى « السعدية » على سيف البحر بجوار جدة

ورابطت فيه ، فخرج الشريف بقواه لمنازلتها ، فهزمته ، فعاد الى مكة وتحصن فيها .

وفرضت الدرعية الحصار على مكة ، وقطعت كل اتصال بينها وبين نجد وعسير وتهامة ، وأغلقت كل باب في وجهها ما عدا البحر ، فساءت الحالة في داخلها ، واشتد الغلاء ، وعظم الكرب على السكان ومات بعضهم جوعاً .

وأصدر سعود في السنة التالية اوامره الى أمرائه في عسير ، وبيشة ، والطائف ، بأن يسيروا بجموعهم الى مكة ويضيقوا عليها ، فأدرك غالب انه كان مخدوعاً ومتسرعاً ، فأرسل يطلب مواجهة سعود ، معلناً استعداده للعودة الى طاعته ومبايعته على السمع والطاعة، فاستجاب له وأمر برفع الحصار، ففتحت الطرق ، وجاءت وفود الحجاج ، وتحسنت الحالة. غير ان عهد الصلح والسلام هذا لم يطل ايضاً ، بسبب تصرفات تصرفها الشريف ليس بينها وبين حسن النية سبب او صلة ، فقد استبقى كما يقول مؤرخو نجد ، عدداً من الجنود الترك والمغاربة وغيرهم في مكة بعد الحج ، زاعماً ان امير الحج الشامي هو الذي رتبهم بأمر الدولة العثمانية ، كما انه راح يحصن جدة وحفر حولها خندقاً ، ومنع دخولها على النجديين ، وصار يقضي فيها اغلب اوقاته .

على ان ذلك لم يبعث سعوداً على اتخاذ اي تدبير نحوه .

بيعة أهل المدينة

وفد في سنة ١٢١٨ الى الدرعية ، بادي وبداي ولدا بدوي بن مضياف رئيس عشائر حرب ، أكبر القبائل التي تنزل بين الحرمين (مكة والمدينة) وبايعا باسمهما وباسم عربانها ، سعوداً على السمع والطاعة ، فأرسل معهم معلماً يعلم قومهما التوحيد .

وضربت قبائل حرب ، الحصار على المدينة لحملها على الدخول في طاعة الدرعية ، ثم اقامت حصناً بجوارها وملأته بالجند والمعدات لمضايقة اهلها .

وانضم سكان قبـا الى الدعوة مع من حولهم واشتركوا في الحصار وقطعوا كل صلة بين المدينة والخارج .

وكاتب اهل المدينة الدرعية ، بعد ان استمر الحصار نحو سنتين لقوا خلالها الامرين ، معلنين الخضوع والاستسلام ، فاستجابت لهم وتمت البيعة سنة ١٢٢٠ ودخلت طيبة في عداد البلدان الموالية .

سعود في المدينة

ووصل الى مكة سنة ١٢٢١ الامام سعود على رأس وفود كثيرة تواردت من جميع انحاء الاقطـــار الموالية ، فاستقبله الشريف غالب وبايعه على السمع والطاعة ، فأقره في منصبه .

وأجلى سعود في هذا العام كل من كان في مكة من الترك ، ووزع الصدقات والاعطيات ، وكسا الكعبة. وبعد ان قضى حجه ومناسكه وأتم ترتيب كل شيء ، قصد في اواخر شهر ذي الحجة الى المدينة ، فاستقبلته احسن استقبال ، فرتب حكومتها ونظم أمورها ، وأقام حامية في داخلها ، وأجلى كل من كان فيها من الموظفين الترك .

وحج في السنة التـالية (سنة ١٢٢٢) وحج سنة ١٢٢١ ، وسنة ١٢٢٤ ، وسنة ١٢٢٥ .

وخطب هذا العام ، وهو محرم على ظهر ناقته والنـاس مجتمعون حوله ، في مسجد نمرة في عرفات ، فوعظهم وعلمهم المناسك ، وذكـّرهم بما أنعم الله عليهم من الاعتصام بكلمة « لا إله إلا الله » ، ومـا أعطى الله ضمنهـا من التلاقي بعد الفراق ، ومن امان السبل ، وكثرة الاموال ، وانقياد عتاة الرجال ، وقال : « ان اضعف ضعيف في هذا العهد يأخذ حقه كاملًا من اكبر كبير من مشايخ البوادي ، ومن اعظم عظيم من رؤساء البلدان » . ونادى وهو على ظهر ناقته

بأنه لا يحمل في مكة سلاح ، ولا تبرج امرأة بزينة، وتوعد من يفعل غير ذلك بالعقاب . وأقام هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وجعلها في الاسواق وقت الصلاة للحض على ادائها .

ولا يزال هذا النظـــام سارياً ومتبعاً في البلاد السعودية ، ومـــا يزالون يحافظون عليه .

وحج في السنة التالية ، اي في سنة ١٢٢٦ .

غزو اليمن وتهامة

تقع اليمن جنوبي شرقي نجد ، وليس بينهما حدود مشتركة ، وتفصل بينهما مقاطعة نجران من جهة الشرق ، وعسير من جهة الجنوب .

ودخل عربان وادي الدواسر ، والسراة ، ووادي بيشه في الدعوة ففتح ذلك أمامها ابواب عسير وتهامة واليمن .

ولقد أشرنا من قبل الى وصول محمد بن عامر وأخوه عبد الوهاب الى الدرعية سنة ١٢١٥ (انظر ص ٧٢) ، وقلنا ان الامام عبد العزيز ولى الاول امارة عسير السراة ، فكان ذلك بدء اشتهار عسير كمقاطعة ذات كيان سياسي مستقل.

وتوفي محمد بن عامر بعد قليل ، فحل أخاه محله بعدما اشترط عليه الامام محاربة الشريف حمود صاحب « ابو عرايش » (احدى مدن المخلاف السليماني من تهامة) ، فقام بالامر واستولى عليها وأدخل صاحبها في الطاعة ، وقاتل مع السعوديين في معارك الحجاز سنة ١٢١٨ .

وضمت الدرعية «المخلاف السليماني» الى عبد الوهاب بعد افتتاحه ، ولكن أمر ذلك لم يطل ، فقد توصل الشريف حمود وابن عمه منصور امير صبيا الى انشاء صلة مباشرة بالدرعية .

وسقط عبد الوهاب قتيلاً سنة ١٢٢٥ في المعركة التي دارت بينه وبين الشريف حمود في وادي بيشه عندما نقض هذا بيعة السعوديين ، فاختار الامام

سعود طامي بن شعيب خلفـــاً له ، واشترك هذا في قتـــال الحملة المصرية مع السعوديين وظل يقف في الميدان مع قومه حتى سنة ١٢٣٠، اي حتى سيطرة المصريين على عسير .

غزو نجران

يقول ابن بشر وهو يسجل حوادث سنة ١٢٢٠ ، ان الامام سعوداً اصدر امراً الى عبد الوهاب امير عسير ، وفهد بن شكبان امير بيشة ، واهل وادي الدواسر ، بأن يغزوا نجران (وهي اليوم من املاك الدولة السعودية) ، فسارت الحملة وقاتلتهم وضيقت عليهم ، ثم أقامت حصناً وضعت فيه حامية لمضايقتهم .

الحديدة وبيت الفقيه

وبايع ابن صالح رئيس ثغر الحديدة وبيت الفقيه الامام سعوداً سنة ١٩٢٥ على السمع والطـاعة ، فساء ذلك امـــام اليمن فأرسل قوة حاصرت الحديدة واستولت عليها .

وصدرت الاوامر من الدرعية الى طامي بن شعيب امير عسير ، بأن يواصل الزحف في تهامة، فحاصر اللحية واستولى عليها ، ثم قصد الحديدة فاستولى عليها ايضاً بالقوة وضمها الى الدولة السعودية .

غزو الشام

غزت نجد بلاد الشام مرتين في تلك المرحلة :

الاولى : سنة ١٢١٢ ، وكانت ضيقة ومحدودة .

الثانية : سنة ١٢٢٥ ، قادها الامام سعود بالذات وكانت اوسع نطاقاً ، وصل في نهايتها الى ابواب دمشق بعدما دوخ حوران .

ولا يوجد فيما لدينا من روايات مؤرخي نجد الذين عاشوا في ذلك العهد ، ما يميط اللثام عن الاسباب الحقيقية التي دعت الى اعداد هذه الحملة او يساعد على تفسير ما حدث . على ان ابن بشر ذكر وهو يسجل اخبار سنة ١٢١٢، ان حجيلان بن حمد امير القصيم أغار على بوادي الشرارات [١] من ارض الشام فانهزموا وقتل منهم نحو ١٢٠ قتيلاً، وأخذ من الابل خمسة آلاف بعير وأغناماً كثيرة .

وأما الغزوة الثانية فهي أجل وأعظم، قادها الامام بنفسه كما تقدم، وحشد لها قوات كبيرة بدأت يوم ٣ ربيع الثاني سنة ١٢٢٥ ، ويقول ابن بشر وهو يروي تفاصيلها ، ان اخباراً وصلت الى الدرعية بأن عربان الشام من عنيزة ، وبني صخر وغيرهم تجمعوا في نقرة الشام ، فذهب لمنازلتهم ولما وصل لم يجد

١) «الشرارات» قبيلة عربية تنزل في وادي السرحان شرقي الشام من ناحية نجد ، وهو اليوم من أعمال الدولة السعودية ، ولا تزال هذه القبيلة في منازلها القديمة .

احداً ، وانما عرف انهم اجتمعوا على دوخي بن سمير رئيس ولد علي ضنى مفرج من عنيزة ، وانهم ينزلون بجوار جبل الشيخ (جبل حرمون ويقع في منطقة الجولان من حوران ، وهو اليوم مقسوم مناصفة بين سورية ولبنان فأقسامه الشرقية الشمالية لسورية ، والاخرى للبنان) .

ووصلت الحملة الى المزيريب (مكانها معروف اليوم وهي بجوار مدينة درعا عاصمة حوران الادارية) فاشتبكت مع الحامية التي كانت ترابط في الحصن القائم بجوارها وهزمتها .

وواصلت الحملة السير الى بصرى ، فقضت الليل فيها ، ثم عادت الى نجد بعدما نشرت الرعب في بلاد الشام .

معارك الخليج

تجاور جزر البحرين مقاطعة الحسا بحراً ، كما تتاوح ثغور الدمام ورأس تنورة والعقير من ثغور نجد ، وقد كان من الطبيعي بعد ان طغت موجة الفتوحات ووصلت الى البحر الاحمر غرباً ، والى اليمن جنوباً ، والى الشام شمالاً ، ان تصل الى البحرين وعمان شرقاً ، وتنتظم مقاطعات الخليج الاخرى وهي وثيقة الصلة بنجد ، وبين سكانها عدد كبير من ابنائها .

لقد بدأ تدخل الدرعية في شؤون الخليج منذ سنة ١٢١٦ ، حينما أغار سلطان مسقط (سلطان بن احمد) على جزر البحرين ، فاستولى عليها وطرد آل خليفة حكامها ، فجاءوا الى الدرعية مستجيرين ومستغيثين فأمدهم الامير عبد العزيز بجيش سار معهم الى البحرين فطردوا المحتلين وعادوا الى الحكم ، ولكن تحت الحماية السعودية .

ووصلت اخبار الى الدرعية بأن آل خليفة يأتون مخالفات ، فأرسل الامام سعود جيشاً بقيادة خادمه محمد بن معيقل ، ثم عززه بآخر بقيادة عبدالله بن عفيصان ، فوضعا اليد على الجزر ورابطا فيها .

وأصدر الامام سعود سنة ١٢٢٥ أمراً الى قائد جيشه بأن يرسل آل خليفة الى الدرعية ، فأرسلوا مكرهين وعلى رأسهم شيخهم سليمان بن احمد بن خليفة وأخوه عبدالله وأبناؤهم وبعض اعوانهم ورجالهم ، فاستقبلهم وذكر لهم ما فعلوه وارتكبوه ، ثم أمر باعتقال الرؤساء واعادة الآخرين الى بلادهم ، وعين فهد بن عفيصان قائداً على البحرين وأميناً على بيت المال .

ونقل آل خليفة الذين ظلوا في البحرين ، أموالهم وأمتعتهم الى السفن وساروا الى مسقط ونزلوا لاجئين على سلطانها واستنفروه ، كما استنفروا ايران جارة الخليج ، وقبائل العتوب .

واستنجد سلطان مسقط بالاسطول البريطاني ، فوصلت بعض سفنه وعليها عدد كبير من المقاتلة الى « الزبارة » ، فنزلت فيها ونهبت كل ما وجدته ، ثم اتجهت الى المنامة (عاصمة الجزر) وفيها فهد بن عفيصان والحامية السعودية وعددها ٣٠٠ جندياً ، فحاصرتهم اياماً ثم اخرجوا بالامان ما عدا ١٦ رجلاً ومنهم الامير ، فقد احتفظوا بهم رهائن مقابل رجالهم المعتقلين في الدرعية .

وتقدم من كان في الدرعية من آل خليفة الى سعود طالبين اطلاق سراحهم لكي يذهبوا الى اخوانهم في الزبارة فيجتمعون اليهم ويدعونهم الى الدخول في الطاعة كما دخلوا هم ، فان قبلوا انتهت المشكلة ، وان أبوا عادوا الى الدرعية كما كانوا ، فوافق وارسل معهم بعض رجاله .

ولم تقترن المباحثات التي دارت بين الفريقين بنتيجة ، فعاد الذين كانوا في الدرعية اليها وعاد معهم ابن عفيصان والذين كانوا معه .

وظل آل خليفة في الدرعية حتى اوائل سنة ١٢٢٦ ، فأطلق الامام سراحهم بعد ان بايعوه على السمع والطاعة .

ووقع نزاع بعد وصولهم بين ابنائهم وعشائرهم وبين القوات النجدية التي كانت ترابط في المنطقة تحول الى معركة كبيرة نشبت في البحر بجوار الجزر ، فغرق عدد من سفن الفريقين وقتل كثيرون كان من جملتهم دعيج بن الصباح من آل

الصباح في الكويت وكان يقاتل مع آل خليفة، كما قتل راشد بن خليفة وغيره.

ووصلت بعد ذلك الحملة المصرية الى الحجاز ، فشغلت بها الدرعية عن كل ما سواها .

اخضاع عمان ومسقط

وأرسل الامام سعود سنة ١٢٢٣ سرية الى عمان لتعليم سكانها اصول الدين ولاستطلاع احوالهم ، فقاومهم امامها قيس بن عزان بالاتفاق مع سعيد بن سلطان (صاحب مسقط) فتدخل سلطان بن صقر بن راشد صاحب رأس الخيمة وزعيم القواسم وهو من الذين دخلوا في الدعوة ، فدارت معركة عنيفة انتهت بانتصار هؤلاء ، فأرسل ابن قيس بعد مقتل والده ، الى سلطان بن صقر طالباً المبايعة على السمع والطاعة . ثم جاء سلطان بن سعيد صاحب مسقط الى الدرعية وبايع على السمع والطاعة ، فدخلت عمان ومسقط في نطاق الدولة السعودية .

والظاهر ان سلطان بن سعيد ندم على خضوعه، فاستنجد كما يقول ابن بشر بحلفائه الانكليز واستعدام على رأس الخيمة ، فأرسلوا سفنهم فضربتها بالقنابل فأشعلت في بيوتها النيران وأكثرها من سعف النخل ، ثم نزل جنودهم الى البلدة فنهبوها وأشعلوا فيها النيران ودمروها ، وفر السكان الى الخارج حتى انتهت الغارة وأبحر الانكليز ، فعادوا الى مدينتهم .

وأصدر سعود امراً الى عبدالله بن مزروع امير منفوحة ، بأن يسير مع رجاله ورجال من نجد الى عمان وينزلوا في قصره في البوريمي [1] وهو معروف هنالك، كما اصدر امراً الى مطلق المطيري بأن يسير مع عشيرته الى عمان وينضم الى المزروع ويتعاون معه .

ووصلت الحملة المصرية بعد قليل الى الحجاز، فاضطر النجديون الى الانسحاب لمنازلة القوة المتدفقة من الغرب والتخلي عن الخليج ، ولكن موقتاً .

---

١) هو قاعدة واحة البوريمي التي اشتد الخلاف عليها سنة ١٩٥٥ بين الحكومة السعودية وانكلترا ، كما سيأتي .

الدعوة وحملة نابوليون على مصر

وبينما كانت جيوش الدعوة وقواتها تحاصر مكة وتدخلها وتوغل متقدمة على شواطىء البحر الاحمر الغربية مندفعة نحو سواحل اليمن ، بعد ان سيطرت على تهامة ، كانت احداث خطيرة اخرى تحدث على الضفة الاخرى من البحر الاحمر ، وعلى سواحل البحر المتوسط ايضاً ، فقد وصلت الى الاسكندرية يوم ١٣ محرم سنة ١٢١٦ (٢٨ يوليو سنة ١٧٩٨) حملة الجنرال نابوليون بونابرت الفرنسي ، تبغي الاستيلاء على مصر واتخاذها قاعدة لأمبراطورية استعمارية كبرى ، كانت فرنسا تحلم بانشائها .

وهزّ وصول هذه الحملة شرقنا العربي ، هزة عنيفة ، وكانت اول حملة غربية تجوس خلال دياره بعد الحملات الصليبية في القرون الوسطى . وكانت الغاية التي حفزت الفرنسيين الى المجيء هذه المرة ، هي نفس الغاية التي حفزت الصليبيين فكلتاهما كانتا تنشدان الاستيلاء على الشرق الاسلامي وانشاء حكم اجنبي دخيل في ربوعه .

ويقول المؤرخون الفرنسيون ان نابوليون ارسل بعد وصوله الى القاهرة بعثة الى الامام سعود بغية انشاء اتصال بينهما فيتعاونان في حرب الدولة العثمانية، ولم نجد فيما كتبه مؤرخو نجد ما يدل على قيام اي تعاون ، على ان ابن بشر أورد في حوادث سنة ١٢١٢ خبر وصول «الفرنسيس من الافرنج الى مصر». ثم سرد كثيراً من التفاصيل عن الحملة ، فيها الغث والسمين ، وختمها بقوله :

« انه نقل أخبار اخذ الفرنسيين لمصر ، من اوراق وجدت في الطائف حين فتحها عثمان المضايفي ، فنقلها باختصار ، والله سبحانه وتعالى أعلم » .

وأقلق وصول الحملة حكومة الاستانة وأزعجها وأطار النوم من عيونها ، فتخلت عن جميع مشاكلها ، وعكفت على معالجة الازمة التي أثارها وصولها ، و على ابتكار الاسباب للخلاص منها خوف مضاعفاتها ، ومـا قد تحدثه من اختلاطات لا تؤمن مغبتها .

الدعوة والحملة

وهيأ وصول الحملة ، وما كان متوقعاً ولا منتظراً ، فرصة طيبة للدعوة فاستولت على عسير سنة ١٢١٥ ، ثم دخلت مكة سنة ١٢١٨ ، والمدينة سنة ١٢٢٠ ، واكتسحت حدود العراق واتجهت نحو الشمال ونحو الجنوب ونحو الغرب والشرق ، لا تخشى مقاومة ولا تحسب حساباً ، بسبب انهماك عدوتها الكبرى (حكومة الاستانة) في حربها مع الحملة الفرنسية ، فقد انغمست فيها الى الاذقان ، وحشدت لها كل ما كان لديها من امكانيات فلم تجن سوى الفشل وزيادة الخذلان ، ذلك ان مرض الشيخوخة ، وكان ينخر في جسمها ، هد قواها وجعلها عاجزة عن كل عمل ايجابي .

الانكليز والحملة

كانت هناك حرب عوان ، متقدة اللظى ، مشبوبة الاوار، تدور رحاها في اوروبا بين الانكليز والفرنسيين ، ولا يفصل بينها سوى مضيق صغير لا تزيد سعته عن ٢١ ميلاً وهو بحر المانش ، وكان كل منهما يسعى للايقاع بعدوه والفوز عليه .

وجاء نبأ حملة نابوليون الى الانكليز ، لا من يوم بلوغها ساحل مصر ، بل من يوم ابحارها من الشاطىء الفرنسي ، فأرسلوا اسطولهم وراءها يجوب البحار

بحثاً عنها ، ليوقع بها قبل وصولها الى الاسكندرية ، وتشاء الاقدار ان تنجو من قبضته فتصل الى بغيتها وتستولي على القاهرة، ويواصل بعض عناصرها الزحف الى فلسطين لبلوغ الهند بطريق الخليج وطعنهم في اكثر مقاتلهم مفعولاً وتأثيراً.

ويعود الاسطول الانكليزي ثانية الى الساحل المصري ، فيأخذ الاسطول الفرنسي الذي جاء مع الحملة لحمايتها على حين غرة ، فيدمره تدميراً ، فكان ذلك بشيراً يبشر بفشل الحملة التي صارت معزولة عن قاعدتها الكبرى (فرنسا) .

ولم يقف الانكليز عند حد تدمير الاسطول الفرنسي وعزل الحملة عن قاعدتها، بل أرسلوا جيشاً من الهند نزل في عيذاب (ثغر مصري على البحر الاحمر) ، وآخر من انكلترا نزل في الاسكندرية وتعاونوا مع القوى العسكرية العثمانية التي وصلت الى مصر، وما زالوا بالحملة حتى أجلوها عن مصر نهائياً بموجب اتفاق عقد يوم ٢٣ يونيو سنة ١٨٠١ ، فانتهى امرها وطوي بساطها وعادت تجر اذيال الخيبة والفشل .

الاحتلال المصري لجزيرة العرب

بدأ النضال في القاهرة بعد جلاء الفرنسيين بين ثلاث قوى ، كانت تتنافس للفوز بالسيطرة على مصر ، وهي :

١ ـ الانكليز، وكانت لهم قوى برية وبحرية داخل القطر وفي بعض ثغوره وهم الذين ساهموا في طرد الفرنسيين الى حد كبير . وكانوا يطمعون في الحلول محلهم واملاء الفراغ الذي أحدثه خروجهم ، نمت عن ذلك حركاتهم وتصرفاتهم وان تكتموا ولم يعلنوا ويذيعوا .

٢ ـ الاتراك ، وكانت لهم قوات برية وبحرية في داخل القطر وفي ثغوره ، وكانوا اصحاب السيادة عليه . وكان يمثلهم يومئذ في القاهرة الصدر الاعظم (كان هذا اللقب خاصاً بكل من يتولى رئاسة الحكومة في تركيا) وكان اسمه يوسف ضيا باشا .

٣ ـ المماليك ، حكام مصر القدمـــاء ، قبل الحملة الفرنسية ، وقد عادوا للظهور بعدها يعملون لاسترداد الحكم .

وأسرعت حكومة فرنسا ، عقب طرد قواها من مصر ، فمدت يدها الى حكومة الاستانة فصالحتها وانضمت اليها في مطالبة الانكليز بالجلاء عن القطر فلا يجلوا محلها ولا يرثوها .

واتفق الانكليز سراً مع المماليك على التعاون ضد الترك ، فيؤيدونهم ويعاضدونهم في نقل الحكم اليهم ، مقابل فوائد وعدوهم بها . على ان المعركة انتهت بعد سنتين فجلا الانكليز سنة ١٨٠٣ ، فخلا الميدان للترك وكانوا مصممين على الخلاص من المماليك والقضاء عليهم ، فسيطروا على القطر وارسلوا احد باشاواتهم ليمثلهم فيه ويرأس حكومته .

ظهور محمد علي الالباني

كان محمد علي الالباني ، جندياً متطوعاً في الفصيلة الالبانية التي ارسلتها الحكومة العثمانية ضمن حملتها الى مصر للاشتراك في طرد الفرنسيين .

وبلغ الاسكندرية يوم ٢٥ مارس سنة ١٨٠١ مع الحملة ، وانتقل بعد ان أمضى مدة في خدمة الجيش ، الى وظائف الامن العام وتدرج في مناصبه حتى صار في سنة ١٨٠٥ قائداً لقوى الامن في القاهرة ، مما سهل له سبل الاتصال بقادة الحركة الوطنية المصرية الجديدة ، الذين ظهروا في ابان الاحتلال الفرنسي وصارت لهم كلمة نافذة بين طوائف الشعب وعناصره وكانوا كارهين للمماليك ، راغبين في الخلاص منهم .

في طريق الحملة الى الحجاز

وعينته حكومة الاستانة سنة ١٨٠٥ (١٢٢٠ هـ) محافظاً لجدة ، وكانت لا تزال بيد الترك ، وكانت لهم بارجة ترابط في البحر أمامها وتحميها ، وكان قد وصل الى رتبة الباشوية ، وأمرته بأن يلحق على الفور بمقر عمله الجديد ، وكانت هذه اول حركة تتحركها للعودة الى الحجاز . وكانت الاوامر الصادرة

اليه تقضي بسفره حالاً ، ولكن كيف يسافر وهو طامع بولاية مصر ، وكان الحصول عليها ، والفوز بها كل ما يشغله ، ويسعى لادراكه .

وأخيراً ، وبعد طويل أخذ ورد ، وافقت حكومة الاستانة يوم ٦ آب (أغسطس) سنة ١٨٠٦ على تعيينه والياً لمصر وأطلقت يده فيها. وقد لا يبعد انه وعدها ، قبل تعيينه ، بأن يعيد اليهـــا بلاد العرب ، فقدكان حوّلاً قلباً ، ووصولياً ماهراً ، يؤيد ذلك انه ما كاد يستقر به المقـام حتى تلقى الامر من الاستانة ، بأن يعد حملة يرسلها الى الحجـاز (سنة ١٨٠٧)، فاعتذر بعدم وجود الاستقرار في البلاد وبعداوة المماليك لحكومته وتربصهم بها الدوائر ، ولذلك فلا يستطيع ارسال قواه الى الخارج لئلا يثوروا عليه .

وأمهلته سنة واحدة ، ثم عادت فألحت عليه بارسال الحملة التي وعد بها ، فعاد الى الاعتذار بعـدم الاستقرار وبالخوف من وثبة يثبهـــا المماليك عليـه وعلى حكومته فيودون بها .

وعادت فجددت التكليف في السنة الثالثة ، مقروناً بالمزيد من الالحـاح ، فكرر الاعتذار وقال ان النضـال لا يزال دائراً بينه وبين خصومه ، وانه لا يستطيـع ترك البلاد بدون حامية قوية تحميها .

وتكرر التكليف ايضـاً ، وتكرر الاعتذار . على ان حكومة الاستانة أبلغته سنة ١٢٢٥ بأنها لن تقبل له عذراً ، وانهـــا لن تجد سواه لهذه المهمة يستطيـع النهوض بهـا . والواقع ان الثقة كادت تكون مفقودة بين الفريقين ، وربما كانت تريد التخلص منه بعد ان ماطلهـا هذه المماطلة ، بانتدابه لهذه المهمة الصعبة ، المفعمة بالاخطار ، فاذا خاب او فشل ، تستبدله بأحد رجالها وتكون صفقتها الرابحة .

مذبحة المماليك

ولما كانت قوة المماليك تخيفه وتزعجه ، فقد رسم في ذهنه خطة تقوم على التخلص منهم وابادتهم قبل سفر الحملة ، فيرتاح منهم نهائياً والى الابد .

لقد بدأ فأعلن في القاهرة في أوائل سنة ١٢٢٦ ، انه أعد حملة عسكرية لارسالها الى الحجاز ، وانه عين نجله احمد طوسون قائداً لها ، وانه سيقيم حفلاً كبيراً في القلعة لالباسه حلة القيادة ، ثم وزع رقاع الدعوة لهذه الحفلة وكانت اسماء جماعة المماليك في المقدمة . ولما كانت الصلات بينه وبينهم على غير ما يرام فكان يخشاهم وكانوا يخشونه ، فقد ارسل الى شاهين بك وكانت الزعامة قد انتهت اليه ، من يقنعه بقبول الدعوة وحضور الحفلة ويقول له انهم باستجابتهم له يثبتون رغبتهم بالتعاون معه ويزيلون ما هنالك من جفاء ويفتحون للصداقة باباً واسعاً . وقد انطلت الحيلة عليهم ووقعوا في الشرك الذي نصبه لاصطيادهم اذ أعد كميناً في داخل القلعة من رجاله الالبانيين الذين جاءوا معه وكانوا عدته وكان يعتمد عليهم ، وأقامه على قدم الاستعداد وهيأه للعمل عند اول اشارة .

ووصل شاهين بك في الوقت المعين الى القلعة ومعه ٤٧٠ من رجاله في اجمل لباس ، لأنهم اعتبروا الدعوة دليلاً على الرغبة بمصافاتهم واعادتهم الى الحكم ، وهذا كل ما يطلبونه ويمنون النفس ببلوغه .

وبدأت الحفلة وتلي مرسوم التعيين وصدر الامر بأن يتحرك الموكب الى « القبة » حيث مقر قيادة طوسون ، وكان معنى صدوره اغلاق باب القلعة والشروع بذبح المماليك وابادتهم عن بكرة ابيهم .

ونفذت الخطة باحكام ، فقد أبيدوا جميعاً ما عدا واحداً منهم اسمه امين آغا اسرع فقفز بجواده وهو على ظهره من اعلى القلعة فوصل سالماً الى الارض ، فواصل السير وهو على ظهره الى بلاد الشام .

لقد كانت مذبحة مريعة ، تمثلت فيها جميع عناصر اللؤم والخيانة والغدر ، اهتزت لها القاهرة جزعاً وحزناً على شهدائها الذين جاءوا للتصافي فوجدوا الموت الزؤام ووجدوا الخيـــانة مجسمة في شخص ذلك الالباني المجرد من كل عاطفة انسانية ، ولا نظن ان التاريخ العربي عرف لها مثيلاً في الفظاعة ، فاغتيال ٤٦٩ شخصاً في دقائق معدودات ، لم يجنوا ذنباً ، ولم يرتكبوا اثماً ، بل لمجرد خوف موهوم منهم ، يعد من افظع الجنايات والخيانات وسيظل اثم مـا جرى ووزره لاحقاً بمرتكبه حتى يوم الدين .

وواصل اعداد الحملة على اشلاء ضحاياه ، وبعد أن ملأ جو القطر رعبـــاً ، وبعد ان نشر الهول جميع مناطقه واقاليمه ، فقد وثب ولاته وممثلوه في نفس الوقت الذي كانت تنفذ فيه مذبحـــة القلعة ففتكوا ، بأوامره وتعليماته ، بجميع من كان لديهم من المماليك ، اي انه لم يبق منهم ديّاراً ولا نافخ نار .

المعارك الأولى

في أواسط شهر رمضان سنة ١٢٢٦ تحركت الحملة المصرية الاولى الى الحجاز وكانت تتألف من ٦٠٠٠ مشاة و٢٠٠٠ خيال مع مدفعية قوية ومعدات كثيرة.

وامتطى المشاة والمدفعيون سفنـاً شراعية أعدت لنقل الحملة من السويس الى ينبع .

وسار قائد الحملة احمد طوسون بن محمد علي ، على رأس الخيالة براً ، وكان في السابعة عشرة من العمر .

وفي شهر شوال سنة ١٢٢٦ وصلت الى ينبع .

ولقد اختاروا هذا الثغر بالذات لأنه اقرب ثغور الحجاز الى المدينة ، ولأن طريق المدينة أقرب الطرق الى الرياض قاعدة السعوديين الكبرى ، ومركز تموينهم ، ومصدر قوتهم ، فكأنهم أرادوا ان يضربوا الحركة في قلبها مباشرة فاختاروا اقرب الطرق المؤدية اليه .

ولم تخف هذه الحقيقة عن السعوديين ، وكانت اخبار الحملة تصلهم بدون انقطاع ، وما كان اعدادها وسفرها بسر ، وكانت الخطة التي رسمتهـا القيادة السعودية للقائها ومقاومتها ، تدور في هذا الاطار:

١ – السماح للحملة بالنزول في ينبع دون مقامة .

٢ – فتح الطريق امامها حتى بدر .

٣ ـ اقامة قوات صغيرة تقاومها مقاومة شكلية ، وتستدرجها حتى وادي الصفراء (يقع بين المدينة وينبع) حيث ترابط القوة السعودية الكبرى ، فتحيط بها ، وتقضي عليها .

ونفذت الخطة باحكام ودقة ، مأثورة عن النجديين في جميع خططهم ومشروعاتهم، فقد وجدت الحملة ينبع خالية، فنزلت فيها وقامت تعد معدات الزحف ، ولما أتمتها تقدمت نحو بدر تريد المدينة المنورة ، فصدمتها طلائع السعوديين، ثم استدرجتها حتى وادي الصفراء فأحاطت بها وأخذتها من كل جانب فوقع الفزع والاضطراب في صفوفها، فتراجعت منهزمة الى ينبع تاركة مدافعها وعتادها ومعداتها وكل ما كانت تحمله بين أيدي السعوديين ، عدا مئات القتلى يتوسدون الثرى .

وكان قائدها طوسون في عداد الناجين .

ونعى طوسون الحملة الى والده ، وألقى تبعة الفشل والاخفاق على قواده وقال انهم كانوا سبب الانكسار لاختلافهم وتنافسهم .

وعكف محمد علي يعد حملة جديدة يرسلها الى نجله الذي ظل في ينبع بانتظارها.

وصول الحملة الثانية وانهزامها

ووصلت الحملة الثانية في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٧ ، اي بعد سنة من تمزيق الحملة الاولى ، فنزلت في ينبع نفسها وكانت تتألف من خمسة آلاف جندي ، وزحفت مع فلول الحملة القديمة تريد المدينة المنورة ، ففتحت القيادة السعودية لها الطريق ولم تشأ ان تصدها ، فدخلتها بعد مقاومة بسيطة ، ثم تقدمت الى الحناكية وتقع شرق المدينة الشمالي على طريق نجد وتبعد عنها ٩٠ ميلاً ، فنزلت فيها وأقامت الخنادق حولها .

الاستيلاء على جده ومكة

وعاد طوسون من المدينة الى قاعدته في ينبع بعد ما وطد مركزه في شمال الحجاز واستمال بعض قبائله باموال طائلة اغدقها على شيوخها ، والبدوي فقير يؤخذ بالمال غالباً ، فركب البحر الى جده فنزلها بدون مقاومة لانها كانت لا تزال بيد العثمانيين ، واستقبله فيها عند وصوله الشريف غالب بن مساعد شريف مكة وممثل السعوديين فيها ، وقدم له الطاعة والولاء ومشى في موكبه الى مكة ، وكان السعوديون قد رحلوا عنها مقدماً طبقاً لخطة عسكرية رسموها .

خطة السعوديين الجديدة

لقد كانت الخطة العسكرية السعودية ، تقوم على الجلاء عن الحجاز مدناً وحواضر، وبادية ، والارتداد حتى حدود نجد الشرقية والمرابطة هنالك حيث الدفاع اسهل وايسر .

وكان معنى هذه الخطة استدراج الحملة الى الداخل ، الى الصحاري والوديان وابعادها عن مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها وتعريضها لجو نجد اللاهب وشمسه المحرقة فيسهل سحقها وتدميرها .

وطبقاً لهذه الخطة اعد السعوديون جيشين كبيرين لمنازلة الحملة :

١ – جيش الشرق بقيادة سعود الكبير وقد اتخذ « تربه » قاعدة له للقائها اذا جاءت بطريق الطائف .

٢ – جيش الشمال بقيادة نجله ، وقد رابط في منطقة الحناكية (منطقة المدينة) لمنازلة الحملة اذا جاءت من جهته .

ونجحت الخطة السعودية نجاحاً كبيراً ومزقت الحملة التي تقدمت بطريق

الطائف وفقدت كل ما كان معها من سلاح ومعدات .

وبيان ما وقع ، ان طوسون اعد قوة عسكرية كبيرة في الطائف ، وولى قيادتها احد ضباطه (مصطفى بك) فزحفت نحو تربه وقبل ان تصل اليها هاجمها السعوديون فشتتوها وغنموا كل ما كان معها ، فارتدت على جناح السرعة الى الطائف لا تلوي على شيء ، وكان مصير القوة الاخرى التي وصلت الى الحناكية نفس المصير ، فقد اطبق عليها السعوديون ومزقوها شذر مذر ، فارتدت فلولها الى المدينة تحدث عما حل بها .

ومما زاد في هول النكبة ، انتشار الامراض والأوبئة بين القوات المصرية التي كانت ترابط في المراكز الاخرى .

واصدر طوسون بعد هذه الهزائم تعليمات الى رجاله بتحصين المدينة والطائف انتظاراً لوصول النجدات الجديدة التي ارسل الى والده يطلبها .

واكتفى السعوديون بالفوز الذي نالوه وبما تم لهم من تمزيق الحملة ، ولم يتقدموا لاحتلال المدينة لأنهم كانوا يؤمنون بأنه لا بد لمحمد علي من استئناف الكرة وارسال نجدات اخرى بسبب كثرة موارده ، وتعدد مصادره ، ووفرة الاموال لديه ، والمال كل شيء في الحروب .

الحملة الثالثة

كان لانتصار السعوديين على الحملتين الاولى والثانية وتمزيقهم لها وفوزهم باسلحتها ومعداتها ، صداه الحسن في نجد ، فاهتزت فرحاً وسروراً كما ارتفعت القوة المعنوية في صدور ابنائها ورجالاتها ، فقرروا الاستمرار في الحرب الدفاعية التي شنها عليهم محمد علي ظلماً وبغياً ، انتصاراً للترك ، وتأييداً للبدع والخرافات ، وهي مصدر كل ما نزل بالمسلمين من ضعف وذل وهوان .

ووصلت اخبار هذه الهزائم الى مصر ، فاحدثت ذعراً واضطراباً وقلقاً

وزلزلت نفوذ محمد علي وأفرحت خصومه واعداءه، فاندفع في تأليف حملة جديدة (الحملة الثالثة) وقادها بالذات وجاء على رأسها الى جده فبلغها في سنة ١٢٢٨ (شهر اغسطس سنة ١٨١٣) وذهب على الفور الى مكة منادياً بأنه ينوي انهاء الحرب ، فلا تكون مصدر قلق واضطراب لحكومته .

وأصدر بعد شهرين من وصوله ، وبعد ان درس الحالة عن كثب درساً وافياً ، أمراً باعتقال الشريف غالب بن مساعد (شريف مكة) لارتيابه في اخلاصه مع ما كان يبذله في خدمة جيشه ، وأرسله منفياً الى مصر ومنها أرسل الى سلانيك ومات فيها ، ولم يكتف باقصائه ونفيه ، بل نقل الامارة الى فرع آخر من فروع الاشراف ، فجعلها في آل عون واختار لها الشريف محمد عبد المعين بن عون ، جد الامرة المالكة في الاردن اليوم ، وفي العراق والحجاز سابقاً ، وكانت الشرافة من قبل في ذوي زيد يتوارثونها خلفاً عن سلف .

وفاة الامام سعود

ولحق الامام سعود بالملأ الاعلى ، ليلة الاثنين ١١ جمادي الاول سنة ١٢٢٩، اثر مرض بالحمى ، فأطبق عينيه وكفة جيشه ما تزال راجحة ، وحالة بلاده وشعبه على خير ما يرام ، فمضى راضياً مرضياً بعدما كتب أمجد الصفحات في تاريخ الجهاد ، وحسبه ان عهده هو العهد الذهبي لدولة آل سعود الاولى .

سياسة خارجية للإمام سعود

« لم نجد بين ما كتبه المؤرخون العرب والاجانب ، عن عهد الامام سعود ، من تكلم عن الصلات التي نشأت بينه وبين الانكليز في الخليج والهند والمكاتبات التي تبودلت بينهما. ولقد عثرنا لحسن الحظ على مجموعة « الوثائق السرية » التي أعدتها حكومة الهند عن العلاقات والاتصالات التي نشأت بينها وبين الأئمة السعوديين ، ونحن نقتبس منها هنا ما يتصل بعهد هذا الامام الكبير » :

بلغت الدعوة شاطىء الخليج العربي في اندفاعها شرقاً ، في اواخر عهد الامام عبد العزيز ، فبسطت نفوذها عليه ، وأنشأت نظام حكم مستقر ثابت طبقاً لما نشرناه في متن هذا الكتاب .

وكان الانكليز يرقبون من دار معتمدهم في بندر بو شهر الايراني — وكانت لهم وكالة سياسية كبرى — سير الدعوة ، ويتابعون تطوراتها ، غير محاولين الاتصال بها ، باعتبارها حركة داخلية تحدث فيما وراء الساحل ، حيث لا مصالح لهم كما كانوا يقولون .

ووصل الانكليز سنة ١٧٩٨ الى مسقط ، وعقدوا مع صاحبها ، سلطان بن احمد معاهدة اعتراف وصداقة كانت اول ما يعقدونه مع دولة عربية، كما كانت الباب الذي دخلوا منه الى المنطقة ، فكان هذا الدخول شؤماً عليها وبلاء ، ولا يزال العمانيون منذ ١٦٥ سنة ، اي منذ عقدت تلك المعاهدة ، يقاومونها ويسعون للخلاص منها ، وهنالك معارك تدور بينهم وبين الانكليز في هذه الايام ، ولولا تلك المعاهدة لعاشت عمان وعاش أهلها في احسن حال .

وتبدل موقف الانكليز في الهند من الدعوة ، بعد النجاح الباهر الذي أدركته في عهد الامام سعود، وعلى يده ، وبعد ان سيطرت على الضفة الغربية للخليج سيطرة كاملة مطلقة ، من البصرة حتى منتهى حدود عمان ومسقط الجنوبية ، وبعد ان ضمت اليها الحجاز وعسير وتهامة ، وصارت حدودها تمتد من الخليج شرقاً ، الى البحر الاحمر غرباً ، ومن مخاليف اليمن جنوباً الى مشارف الشام شمالاً ، فتقدموا اليها يخطبون ودها ، ويتقربون اليها ، ويعملون لاكتساب ثقتها ، يؤيد ذلك هذه التعليمات التي ارسلوها الى معتمدهم في بندر بو شهر للعمل بموجبها ، وهي :

تعليمات الانكليز الى مندوبهم في بوشهر

ويجب التزام جانب العناية في اطلاع أمير الدرعية وجميع موظفي حكومته اطلاعاً تاماً على ان امنيتنا المخلصة هي ان نستمر في صداقة تامة معه ومع الدول الاخرى في بلاد العرب ، واننا لا ننشد سوى التجارة العامة في البحار ، لا سيما الخليج الفارسي . ولطالما تعرض لها القواسم دون مبرر وانتهكوا حرمة تلك المعاهدة الايجابية التي عقدت مع زعيمهم في عام ١٨٠٦ .

« ان تأييدنا العادل لحليفنا امام مسقط ، لا يمكن ان يسيء لأية دولة او حكومة » .

الامام يحتج والمعتمد يرد

وجـــاء في هذه الوثائق ان مكاتبات دارت بين الامـام سعود والمعتمد البريطاني في بوشهر حول مـــا اسمته بعمليات التأديب التي باشرتهـــا السلطات البريطانية ضد قبيلة القوامم (انظر ص ٨٧)

ومع ان الامـام اعرب عن رغبته في هذه المراسلات بالمحافظة على علاقات الود والوئام مع حكومة بريطانيا ، الا انه احتج على ما جرى مع القواسم .

ورد المستر دنكان حـاكم بمباي بكتاب ارسله الى الامـام يوم ٩ اغسطس سنة ١٨١٠ وهو :

« قابلت الحكومة البريطانية بالارتياح مـا اعربتم عنه من رغبة في المحافظة على علاقات الود والوئام معهـــا ، ولا يسعها الا ان تشارك باخلاص في هذه الرغبة التي سارت عليها سيراً مطرداً ، وعليه فـانه لمن المناسب ان اؤكد لـكم بـأن الحملة التي ارسلت اخيراً الى الخليج الفارسي ، لم تنشأ عن عداوة نحوكم ، وانمـــا كانت موجهة كما اشير اعلاه للقضاء على القرصان الذين قاموا منذ وقت طويل بغـارات في بحار تلك المنطقة سالبين سفن جميـع الدول وقاتلين رعاياهم بدون تميز . وقد انتهك القرصـــان بذلك انتهاكاً مباشراً حرمة اتفاقياتهم الايجابية ، وتغاضوا تغاضياً تاماً عن كل ما اظهر نحوهم من مراضاة وتساهل .

« انه لا دخل للحكومة البريطانية بشأن العمليات الحربية التي تقومون بهـا ضد الخارجين على الدين الاسلامي بسبب ما قيل عن ابتعادهم عن فرائض القرآن وسننه . ولن تستخدم الحكومة البريطانية قوتها إلا ضد اولئك الذين يعتبرون اعداء لجميع الدول من جراء ممارستهم مهنة القرصنة البغيضة .

« أما الآن ، وقد فتح طريق المراسلة بيننا ، فـاني اكون مسروراً دوماً لأن أسمع عن رفاهيتكم وتوفيقكم » .

الرد على احتجاج بريطاني

ورد الامـــام سعود في سنة ١٨١٠ على احتجاج بريطاني فذكر انه اصدر تعليمات الى رجاله بعدم التعرض للسفن البريطانية وعدم معاكستها .

دعوة للصلح والسلام في مسقط

ووجه سعيد بن سلطـــان صاحب مسقط في سنة ١٨١٠ نداءً الى حكومة الهند طالباً منهـــا مساعدتها عسكرياً في حربه مع الوهابيين ، فلم ترد عليه ، فكرر النداء وأرفقه باحتجاج قـال فيه : ان تعاونه مع الحكومة البريطانية في الفترة الاخيرة قد ورطه في حرب دائمـة وعديمة الرحمة مع السعوديين ، وجعله يثق بان الحكومة البريطانية لن تقف موقف الحياد .

وردت عليه حكومة الهند رداً سلبياً كما جـــاء في الوثائق ، وهذا مـــا قالته له :

« ان الحكومة البريطانية كانت تعتبر نفسها دائماً بأنها في صلح وسلام مع الوهابيين ، وان تعاونها الاخير مع السلطان لم يكن يرمي الى متابعة الحرب ضدهم بصورة عامة ، وانما كان يهدف الى القضاء على القرصان . وعليه لم تعد الحكومة البريطانية مهتمة بعد الآن بالنزاع القـائم بين سلطان مسقط وبينهم ، وان ما تهتم به فقط هو ان ينعم السلطان بالرخاء والرفاهية » .

نصيحة بريطانية للسلطان

ولم تقف حكومة الهند عند هذا الحد ، بل نصحت في كتاب لهـا السلطان بـأن يسلم بالشروط التي يطلبها الوهابيون ، على اساس ان تحترم هذه الشروط شرف دولته وتضمن سلامتها .

حول انشاء علاقات دائمة

وارسل الامام سعود سنة ١٨١٣ مندوباً الى مسقط لكي يبلغ المندوب البريطاني رغبته في اقامة علاقات دائمة مع الحكومة البريطانية . . ورد حاكم بمباي بكتاب ارسل الى مندوب الامام وهو :

« انه في الوقت الذي اضمر فيه اصدق المودة نحو اميركم ، شأني في ذلك الآن ، شأني في الماضي ، رأيت لزاماً علي حتى قبل ان اتسلم رسالتكم ، بأن اصدر التعليمات الى المستر « بروس » المعتمد البريطاني في بوشهر ، كي يتصل بصاحب السمو سعود بن عبد العزيز ويؤسس معه علاقات ودية تعود بالنفع المشترك على البلدين ، وبالنفع العام على الدول المجاورة لهما . واني لاشعر بالارتياح بصفة خاصة لما لاحظته ، بأن سعادتكم صرحتم بأن صاحب السمو سعود بن عبد العزيز يشعر بمثل هذه الرغبة ، وعليه فاني اتطلع بثقة الى الامام نحو سرعة تحقيق رغباتنا المتبادلة » .

عدم الدخول في اي تعاقد

وارسل الامام في سنة ١٨١٣ ، أي في ابان الغزو المصري لجزيرة العرب مندوباً الى المعتمد السياسي في بوشهر ، يحمل رغبته في انشاء روابط صداقة ومودة متبادلة تعود على البلدين بالنفع فتفتح كل من الدولتين مرافئها وثغورها في وجه سفن الدولة الاخرى ، ويتاجر رعايا الدولتين تجارة حرة مطلقة لا تقف في سبيلها اي عراقيل او مضايقات .

وردت حكومة الهند بأنها ترى من الحكمة والصواب ان تحافظ على علاقات ودية مع الامام وبأن تحترم شعوره ولكنها لا ترى من المناسب في هذا الوقت الدخول في اي تعاقد ولو كان تجارياً .

الحاكم العام يهنىء ابراهيم باشا

ومع كل مــا كان يتظاهر به الموظفون الانـكليز من رغبة في مصادقة الحكومة السعودية ، وفي انشاء افضل العلاقات معها ، فـان الحاكم البريطاني العـام في الهند ، كتب الى ابراهيم باشا المصري عقب انتصاره ، مهنئاً وهذا ما قاله :

« ان الهزيمة والانهيار الـكامل لدولة ما ، بعد ارتفاع سريـع غير عادي الى درجة السمو ، وبما يدعو الى السرور ان تـفردوا سعادتـكم باخضاعها »[1] .

وكانت تهنئة هنري سولت القنصل البريطاني العـام لمحمد علي باشا تدور في هذه الدائرة ان لم تكن جملها وتعابيرها اشد قسوة .

والامر الذي لا ريب فيه ، انهم مـا كانوا ينظرون بارتياح الى قيام دولة عربية قوية على شاطىء الخليج تحول بينهم وبين السيطرة عليـه ، ولذلك هللوا وفرحوا بخروج الدولة السعودية من الميدان . على ان فرحتهم لم تطل كثيراً ، فقد عادت بعد قليل اليه بعزيمة اقوى وهمة اشد .

بين الامام سعود وفرنسا

ونشأت في تلك المرحلة ايضاً علاقات مودة وصداقة بين الامام سعود وبين فرنسا . ويقول جان جاك بيرني في كتابه (جزيرة العرب) : « ان الملك عبد العزيز بن عبـد الرحمن الفيصل طالمــا اشار الى تبـادل الرسائل بين جده ونابوليون الاول اثناء حملته على مصر » .

« ويشير بير بنوا ميشان في كتـابه عن ابن سعود الى بعثة افرنسية برئاسة

١) سارلير ـ يوميات رحلة عبر جزيرة العرب

« لاسكاري » ارسلها نابوليون الى سعود عام ١٨٠١ . ويقول ايضاً « وبناء على طلب امبراطور الفرنسيين هاجم الوهابيون تركيا في منطقة بلاد ما بين النهرين[١]» ولكن فشل جيوش نابوليون واندحارها أديا الى انهاء التحالف العربي – الفرنسي » .

اخبار أخرى عن الخليج

وعثرنا في هذه الوثائق ايضاً على اخبار اخرى عن الخليج في تلك المرحلة رأينا اثباتها لفائدتها ، وهي :

في سنة ١٧٨٣ طردت قبائل العتوب الفرس من جزر البحرين ، وكان العتوب هؤلاء يستوطنون الزيارة في قطر .

وفي سنة ١٧٩٢ خضعت مقاطعة الحسا لنجد .

وفي سنة ١٨٠٠ اتجه السعوديون نحو عمان واحتلوا واحة البريمي .

وهذه الواحة نقطة استراتيجية هامة من الطراز الاول وتشرف على المعابر المؤدية الى مسقط .

وقبل سنة ١٨٠٢ اصبح الساحل كله من البصرة إلى « ديا » الواقعة على حدود مسقط ، خاضعاً خضوعاً اسمياً للوهابيين .

واضطر سلطان مسقط سنة ١٨٠٣ لعقد صلح معهم ، وتعهد بموجب هذا الصلح ان يدفع لهم اتاوة سنوية قدرها خمسة آلاف ريال، وسمحت مسقط بموجب هذا الاتفاق لممثل سعودي ان يقيم في عاصمتها .

ووطدوا بين سنة ١٨٠٤ – ١٨١٤ نفوذهم في ساحل عمان المهادن وسددوا هجمات ضد سلطان مسقط .

وتوفي سعيد بن سلطان (سلطان مسقط) سنة ١٨٠٤ ، فأدت وفاته الى

---

١) لم نجد فيما لدينا من وثائق ما يؤيد هذه الاسطورة .

ظهور منازعات عائلية اشترك فيها السعوديون اشتراكاً فعلياً ، وأيدوا بدر بن سيف الذي انتخب سلطاناً سنة ١٨٠٥ ، فظل في الحكم حتى سنة ١٨٠٧ حيث اغتاله سعيد بن سلطان ، وامتد حكم هذا حتى سنة ١٨٥٦ .

وشن الوهابيون في عهد هذا السلطان هجوماً ناجحاً من البريمي على مسقط سنة ١٨١٢ - ١٨١٣ ، واوغلوا في البلاد حتى وصلوا الى جنوبي شرقي مسقط عند صور وجعلان ، وحملوا قبيلة ابو علي في جعلان على الدخول في الدعوة .

وحرر سلطان مسقط البحرين سنة ١٨١١ من الحكم السعودي وهزمهم في قطر .

وكانت الكويت في عام ١٨٠٣ تحت اشراف الوهابيين ، كما كانت بقية السواحل تحت اشرافهم . وفي تلك السنة اشتركت الكويت معهم في الحملة على مسقط . وفي سنة ١٨٠٥ وصف شيخ الكويت نفسه بأنه من اتباع نجد . لكن الكويت بلغت شأواً من القوة قبل سنة ١٨٠٨ بحيث احجمت عن تلبية آخر دعوة وجهتها اليها نجد للمبادرة الى مساعدتها ، وقد ادى ذلك الى شن هجوم نجدي على الكويت سنة ١٨٠٩ فصدت الهجوم . وبقي شيخ الكويت من ذلك الحين وما بعده مستقل استقلالاً نسبياً عن النفوذ الوهابي .

عهد الامام عبدالله بن سعود

(١٢٢٩ - ١٢٣٣)

تختلف الظروف التي تسنم فيهـا الامام عبدالله بن سعود عرش الدولة ، عن تلك التي ارتقاه فيهـــا والده وجده ، فقد وُلي الامر وبلاده منغمسة في حرب طاحنة مع دولة قوية ، مضى على نشوبهـا نحو اربع سنوات ، ولا تزال تزداد شدة واشتعالاً . وبعد أن كانت في عهد والده تدور في داخل الحجاز ، انتقلت فحطت على ابواب نجد تدقهـــا وتوشك ان تلجها كما أخضعت معظم الأجزاء الشرقية وبعض الجنوبية وعسير والحجاز معها .

مقابلة بين قوة نجد وقوة مصر

ولا بد لنـا لنكون منصفين وعادلين في أحكامنا ، من اجراء مقارنة بين قوة نجد وقوة مصر اللتين كانتا تخوضان معركة لا نبالغ اذا قلنـا ان التعادل ، بل شبه التعادل كان مفقوداً فيها ، سواء من جهة عدد السكان ، او الثروة ، او

التنظيم العسكري ، او المدفعية ، او الاتصال بالعالم الخارجي ، أو الوسائل الاخرى . فنجد كانت تقاتل في معركة لا أمل فيها على الاطلاق ، لأنها كانت محرومة من اكثر الوسائل التي يحتاج اليهـا المحارب ، وهذه كثيرة ومتوفرة لدى عدوها .

ونبدأ فنقابل بين حالة البلدين :

١ - النسبة العددية للسكان

كان عدد سكان مصر في عهد محمد علي ، يتفاوت بين أربعة أو خمسة ملايين في حين ان سكان نجد ما كانوا ليبلغوا نصف مليون على اكبر تقدير يومئذ ، والفرق كبير بين الرقمين .

٢ - النسبة بالثروة

والنسبة بالثروة ، تكاد تكون معادلة لنسبة تعادل عدد السكان. فمصر قطر زراعي غني يعتمد في زراعته على نهر النيل الذي يشقه من جنوبه الى شمـاله ، فيسقي اراضيه ومزارعه ، ويروي حقوله وبساتينه ، ويدرّ افـاويق الثروة على ابنائه ، ويهبه الرخاء والاطمئنان ، ولا أثر لهذا كله في نجد ، فهي تعتمد على الامطار في زراعتها ، واذا جاءت في سنة فانها لا تأتي في التالية إلا نادراً ، مما يسبب المجاعة في بعض الاوقات .

والمال كل شيء في الحروب والثروة عمادها .

٣ - التنظيم العسكري

وكان هنالك فارق كبير في النظم العسكرية المتبعة في البلدين ، فقد أخذ محمد علي في تنظيم جيشه بالأساليب والأنمـاط التي كانت متبعة لدى الجيشين الانكليزي والفرنسي ، وقد رآهما في مصر عند وصوله اليها ، وحاز على كميات

كبيرة من أسلحتها ، يضاف الى ذلك انه استخدم في جيشه الذي أرسله الى الحجاز عدداً من الضباط الفرنسيين والايطاليين وبعض المهندسين الاجانب واستفاد من خبرتهم .

٤ - التفوق بالمدفعية

وكان التفوق في المدفعية ظاهراً ، وما كان لدى السعوديين منها محدوداً . وكان تفوقهم ظاهراً ايضاً في الاسلحة الاخرى .

٥ - خطوط المواصلات

وكانت خطوط مواصلات المصريين مع قاعدتهم الكبرى « القاهرة » مصونة ومضمونة ، فكانت النجدات والاسلحة والمعدات والاموال تتدفق عليهم دون انقطاع ، وما كان لدى النجديين شيء من ذلك ، وما كانوا يستوردون شيئاً ، وما كان هنالك اتصال بينهم وبين العالم الخارجي .

ميزتان لأبناء نجد

وكانت لأبناء نجد ميزتان لا أثر لهما في جيش محمد علي ، وهما : الشجاعة والايمان .

لقد امتاز النجديون بالشجاعة والبسالة والاقدام ، وكانوا يقاتلون في سبيل غاية شريفة هي نشر كلمة التوحيد وإعلاء شأن الاسلام وتوحيد الاقطار العربية وما كان لذلك أثر ولا وجود في جيش محمد علي . يضاف الى هذا أن النجدي كان يقاتل عن ارضه ووطنه ومسكنه وأهله ، أما خصمه فكان يقاتل في سبيل الطاغوت وفي سبيل المال ، وبعدٌ ما بين الحالتين .

وفضلاً عن ذلك ، فقد حمل محمد علي مئات الالوف من الليرات الذهبية بذرها بذراً ، ونثرها نثراً على قبائل الحجاز وشيوخها فانقادت اليه ، وقاتلت

الى جانبه ، وما كان لدى الفريق الآخر شيء من الذهب وما اعتاد شراء الناس ولا إفساد ضمائرهم .

وجماع القول ، انه كان هنالك فرق كبير بين حـــالة البلدين من جميـع النواحي ، يجب ان يدخـلـه في حسابه من يحاول درس هذه الحرب والاحاطة بتطوراتها أو اصدار حكم عليها. ولا شك في ان حكمه سيكون لصالح النجديين الذين أثبتوا في حروبهم مع المصريين انهم اكثر اهل الارض شجاعة واقداماً ، وبذلاً وتضحية .

الحرب في تهامة وعسير

وأول معركة نشبت في عهد الامام عبدالله ، هي معركة «السراة» فقد أعد محمد علي من مقامه في مكة ، حملة زحفت من الطائف (شوال سنة ١٢٢٩) وتربة وجهتها ، ولما بلغت أودية قبيلة زهران في السراة ، حمل عليها طامي بن شعيب امير عسير ، فهزمها .

ورأى محمد علي ، ان ينقل ميدان القتال الى تهامة وعسير ، وكانتا خاضعتين للدولة السعودية ، يحاول ان ينال نصراً في هذا الميدان بعد ان اعجزه نيله في الميدان الاصلي ، فأعد حملة أبحرت في شهر جمادي الآخرة سنة ١٢٢٩ من جدة الى ثغر القنفذة وكان تابعاً للدولة السعودية ، الى جانب حملة برية زحفت براً .

وكان في القنفذة حامية من ابنــــاء عسير تتألف من ٥٠٠ مقاتل استسلمت بدون قتال لأنها أخذت على غرة . ووصل النبأ الى طامي بن شعيب وكان في طريقه الى مكة لمنـازلة المصريين ، فبدل طريقه وذهب الى القنفذة يقود جيشاً كبيراً قالوا انه كان يتألف من ثمانية آلاف مقاتل .

واخذ هذا الجيش قوات مصر على حين غرة وفتك بهـا فتكاً ذريعاً وغنم كل ما كان لديها من أسلحة ومعدات، ونجا الذين ظلوا أحياء من رجالها بالتجائهم الى السفن التي جاؤا عليها فعادت بهم الى جدة .

وهكذا سجل المصريون فشلاً جديداً في هذا الميدان اضيف الى الفشل الذي حاق بحملاتهم الاولى .

معركة بسل

واضطرب محمد علي لهذه الانكسارات المتوالية يصاب بهـا جيشه ، ولهذه الهزائم المتتابعة تنزل بالحملات التي يوجهها ، فأرسل الى نائبه في القاهرة ، يأمره بارسال نجدات قوية مع كمية كبيرة من الذهب ، فقد جرى منذ بلوغـه الحجاز ، وكانت هذه نفس طريقة نجله طوسون ، على توزيع المـال والهدايا بكثرة على شيوخ القبائل في الحجـاز وعسير لـكي تنفض من حول السعوديين وتنضم اليه ، وقد استعان ببعض السماسرة والعملاء فـأدرك نجاحاً يفوق مـا ادركه في ميادين القتال .

وقدرت النجدات التي وصلته من مصر بسبعة آلاف مقاتل مجهزة بكميات كبيرة من المدافع والاسلحة ضمها الى مـا كان لديه من بقايا الحملات والى ما جمعه له شريف مكة الجديد محمد بن عبد المعين بن عون من رجـال القبائل الحجازية والنجدية فأرسلها الى تربة باعتبارها الطريق الوحيد الى قلب نجد .

والتقى الجيشـان في وادي (بسل) [1] ، في مستهل سنة ١٢٣٠ ، وكان الجيش السعودي بقيادة فيصل بن سعود شقيق الامام ، والجيش المصري بقيادة محمد علي نفسه ، واستمرت المعركة من الصباح الى المساء وانتهت بانتصار الجيش المصري واستيلائه على تربه ورنيه وبيشه ، وكان هذا اول انتصار ينـاله منذ ابتداء الحرب . واقتنع محمد علي بهذا النصر وقفل على الأثر الى القـاهرة ، بعد أن زال الخطر الذي كان يهدد جيشه وقواه وبعد ان فتح امامه الطريق الى قلب نجد .

---

١) واد يقع على الطريق بين تربة والطائف وهو الى هذه أقرب .

العودة الى الميدان الشمالي الشرقي

وحلّ طوسون محل والده في قيادة الجيش بعد سفره ، واسرع فنقل قواه الى المدينة يريد دخول نجد من الباب الجنوبي ، باب القصيم ، لانه اقرب وايسر واسهل ، وبدأ فاستولى على الحناكية ومنها تقدم الى الرس ففتح الطريق الى الدرعية .

هدنة ٢٠ يوماً

وكتب الامام عبد الله بن سعود قبل مباشرة القتال في داخل اراضي نجد الى طوسون يقترح عليه ، حقناً للدماء ، عقد صلح يوفق بين المصلحتين ، فرد عليه بأنه لا بد له من استشارة والده ، ثم اتفقا مبدئياً على عقد هدنة مدتها ٢٠ يوماً يوقف خلالها القتال ، وتجري المفاوضات لبلوغ الاتفاق النهائي .

شروط طوسون للصلح

وعقد طوسون على اثر الهدنة مجلساً عسكرياً ضم قواد جيشه ورؤساء العشائر الموالية له ، فاتفقت الكلمة على عقد الصلح طبقاً للشروط الآتية :

١ — يحتل الجيش المصري الدرعية .

٢ - يرد النجديون كل ما اخذوه من النفائس من الحجرة النبوية .

٣ – يكون عبد الله بن سعود تحت تصرف قيادة الجيش المصري فيساق الى اي جهة تريده على السفر اليها .

٤ – يضمن تأمين سبل الحج .

٥ – يكون خاضعاً لحاكم المدينة .

٦ – لا تكون معاهدة الصلح نافذة الا بعد عرضها على محمد علي واقراره لها .

وارسل طوسون هذه المقترحات الى عبد الله بن سعود في الدرعية ، كما ارسلها الى والده في القاهرة .

وأوفد عبد الله وفداً الى القاهرة لمفاوضة محمد علي مباشرة في الصلح ، قوامه حسن بن مزروع وعبد الله بن عون ، فأبى هذا الدخول في أي مفاوضات ، الا بعد قبول الشروط الآتية :

١ – الاستسلام بدون قيد ولا شرط .

٢ – تسلم الدرعية الى حاكم المدينة .

٣ – رد النفائس المأخوذة .

٤ – يأتي عبد الله بن سعود بنفسه الى القاهرة ليرسل الى الاستانة فيفصل السلطان في امره ويقرر مصيره .

وكان رد الامام بأنه ليس في استطاعته اعادة النفائس لأنها ليست في حوزته ، كما أنه رفض السفر الى الاستانة ووافق على ان يبقيه محمد علي مندوباً عنه في الدرعية ليقبض الخراج .

وهكذا لم يبق بد من مواصلة القتال والرجوع اليه ، فما كان في مقدور الامام أو سواه قبول مثل تلك الشروط القاسية في ذلك الظرف .

ابراهيم بدل طوسون

وعبأ محمد علي ، ومفاوضات الصلح مستمرة ، حملة عسكرية قوية ، الامر الذي دل على سوء نيته ، وعلى أنه مـا كان راغباً في الصلح والوفـاق ، ارسلها الى الحجاز ، وأوفد ابراهيم[1] نجل زوجته ليتولى القيادة العليـا وهو اذكى من طوسون وأعتى ، فغـادر القـاهرة في شهر شوال سنة ١٢٣١ الى الحجـاز ومعه ضـابط افرنسي من ضباط هيئة اركان الحرب ، وطبيب وجراحان ، وصيدلي ، والاربعة ايطـاليون . ومن المتفق عليه انه كان في الحملات التي ارسلها محمد علي الى الحجاز عدد كبير من الاجـانب الذين لا يجوز دخولهم الى الاماكن المقدسة ، كما ان بين الجنود الذين ارسلهم كثيرون من حثالات البشر وأوباشهم وقد تركوا آثاراً سيئة ، وخلفوا كثيراً من الامراض والعلل مـا كانت تلك البلاد تعرفها من قبل .

الصلح مع اهل الرس

واتخذ ابراهيم « الصويدره » (شمال المدينة الشرقي) قـاعدة له ، ثم مشى بعد ستة اشهر قضاهـا في استمالة العربان وبذل الاموال لهم ولشيوخهم الى الحناكية فالرس ، وكان السعوديون قد عـادوا الى الاخيرة بعد انسحاب

---

١) يرى معظم المؤرخين الغربيين الذين دونوا سيرة محمد علي ، ان ابراهيم هـذا ليس ولده من صلبه ، وانما هو نجل زوجته من زوجها الأول الذي مات عنه . ثم تزوجها محمد علي لثرائها ، اذ كان فقيراً معدماً ، ولما انتقل الى مصر استحضرها ومعها ولدها فألحقه بنسبه ، لمـا كان عليه من الذكاء والنجابه :

ومـا يستحق الذكر ان جميع الذين تعاقبوا على حكم مصر كانوا من سلالة ابراهيم هذا ، باستثناء عباس بن طوسون وسعيد بن محمد علي نفسه ، فاسماعيل وذريته هم الذين حكموا وهم على التوالي : ابراهيم وابنه اسماعيل ، وتوفيق ابن اسماعيل ، وعبـاس بن توفيق ، وحسين كامل بن اسماعيل ، ومثله فؤاد . وفاروق بن فؤاد .

طوسون وسفره الى مصر وحصنوها ، فضربهـــا بمدافعه القوية وهاجمها بجنوده فثبتت ودافعت دفـاع الابطال - وقدرت خسارة الجيش المصري في معـارك الرس هذه بثلاثة آلاف واربعماية قتيل . وجنح ابراهيم الى الصلح بعد ما عجز وجيشه عن اقتحامها رغم هجماته المتواصلات وقد استمرت ثلاثة اشهر ونصف ، فدارت مفاوضات بينه وبين سكانها انتهت بالاتفاق على الشروط الآتية :

١ - رفع الحصار عن الرس .

٢ - يضع اهلها السلاح ويلزمون الحياد .

٣ - لا يجوز لابراهيم وضباطه دخول الرس .

٤ - لا يجبر اهـل الرس على تقديـم شيء من المؤن والميرة للجيش ولا يدفعون ضريبة او غرامة .

٥ - تسلم الرس للجيش المصري بدون قتـال اذا استولى على عنيزه ، وان لم يستول ، فيعود القتال .

واطلق هذا الاتفاق يد ابراهيم فمشى الى « الخبرا » فاستولى عليها ، ثم زحف على عنيزه فسلمها شيخهـا محمد بن حسن ، بعد حصار دام ستة ايام بشرط عدم معارضة حاميتها في خروجها على الا تأخذ شيئاً من الذخيرة والسلاح .

وتقدم بعد ذلك الى شقرا فهـاجمها وضربها بالمدافع فستعصت، فحاصرها ثم صالح سكانها على الشروط الاتية :

١ - لا يأخذ منهم اسرى ويأذن بالذهاب لهم حيث شاؤا .

٢ - لا يحملون سلاحاً ولا يعودون الى قتال الجيش .

٣ - يستحل دماءهم اذا نقضوا هذه الشروط .

معارك الدرعية

ومشى بعد ذلك الى الدرعية ، فقاومته اصدق مقاومة .

ووصف الشيخ عثمان بن بشر مجزرة الدرعية ، وهو من الذين عاصروا تلك الاحداث ، وصفاً مؤلماً تقشعر لهوله الابدان ، فقد تفنن المهاجمون في ارتكاب الجرائم واقتراف الفواحش والآثام، تفنن النجديين في البطولة والشجاعة والتضحية وبذل النفس في سبيل العزة والكرامة .

ونحن نقتبس بعض ما قاله وأورده ، تذكرة وعبرة، واستيفاءً للبحث،قال:

« في يوم الثلاثاء ٣ جمادي الاولى سنة ١٢٣٣ ، تقدم جيش ابراهيم من ضرمى الى الدرعية بطريق وادي حنيفة .

وكان الامام عبدالله قد رتب جموع اهل الدرعية ومن كان لديه من اهل الآفاق ، فقد لجأ كثيرون من اهل المدن النجدية التي استولى عليها المصريون الى الدرعية فراراً من ظلمهم حتى اكتظت بهم ، فرتبهم في بطن الوادي وعن يمينه وشماله ، وأقامهم خارج السور وبين النخيل . وكان فيصل بن سعود وأخواه ابراهيم وفهد في بطن الوادي تجاه المعسكر المصري ومعهم ثلاثة مدافع . ووقف على يمينهم في الجانب الشمالي فوق تلك الجبال ، سعود بن سعود وأخوه تركي على شاطىء الشعيب المعروف بـ «الغيصي» ومعهما عدد من أبناء الدرعية وغيرهم ، ويليهما عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة ومعه عدد من ابناء مدينته

وغيرهم. ووقف معهم تركي بن عبدالله الهزاني ومعه عدد من اهل مدينته وغيرهم. ووقف على ذلك الجانب ايضاً ، عدة أبطال من الرؤساء من أهل دغيثر وغيرهم، وحول كل واحد منهم عدد من الاتبـــاع لا يفارقونه حتى باب سمحان داخل الـسور .

ووقف الامام عبدالله ومعه آل الشيخ وبعض الاعيان عند هذا البـــاب داخل الـسور وعنده كفاية من المدافع . ووقف فهد بن عبدالله بن عبد العزيز سعود في قرى عمران المعروف عند النخل المسمى بـ « الرفيعة » ومعه عدد من اهل الدرعية وأهل سدير ورئيسم عبدالله بن القاضي احمد العريني وعندهم مدفع. وكان امـــام كل برج ومتراس عدد من العساكر المصريين . ومن وراء هذه المتاريس والخنـادق في تلك الجهة الى اسفل الدرعية ، ابراج مشحونة برجال من رؤساء اهلهـا وشيوخهم ، وعند كل فريق منهم مدفع . ورابط سعود بن عبد العزيز ومعه فريق من رجاله في اسفل الدرعية في بطن الوادي .

وبدأ القتال بعدمـا اقام ابراهيم جيشه تجـاه أهل الدرعية ، وكانت الحرب سجالاً في أيامها الاولى . ثم حمل الدرعيون على المصريين في اليوم العاشر لابتداء النضال في الغيصي الشعيب المعروف خارج البلد شمالي الوادي، فدار قتال شديد. ودارت معركة اخرى في شعيب الحريقة خارج البـلد جنوبي الوادي ، ثم كانت وقعة غبيراء المشهورة وهو الشعيب في اقاصي المتاريس الجنوبية ، ذلك ان الباشا جمع خيلًا بالليل وأقامها في وسط الشعيب بحيث لا يراها احد من اهل المتاريس. ولما طلع النهار ارسل فريقاً من جنوده فتضاربوا مع خصومهم لاشغالهم، ثم تقدمت الخيل من وراء الابراج وأخذت النجديين على غرة، فتراجعوا والمصريون وراءهم وفقدوا نحو ١٠٠ قتيل منهم فهد بن تركي ، ومحمد بن مشاري، وحسين الهزاني، وبعض أهل الوشم وسدير ، وتراجع الدرعيون .

ثم كانت وقعة سمحة النخل أعلى الدرعية جنوبي الوادي ، فقد جمـع الباشا بعد واقعة غبيراء ، عدداً من جنود المتـاريس وضمهم الى من عنده من الخيـالة

وأرسلهم الى قائد المنطقة الجنوبية ، كما أصدر أمراً الى جنود المنطقة الشمالية من المغاربة وغيرهم بأن يبدأوا الحرب ، ثم زحف في بطن الوادي ومعه مدافعه فهاجم الابراج الكبيرة على يمين الوادي وشماله ، وشدد على البرج الذي يرابط فيه عبدالله بن عبد العزيز واخوانه ، فكانت معركة كبيرة انتهت بانثلام تلك البروج وتهدم اكثرها ، فانسحب عبدالله والذين معه من البرج وانحازوا الى مكان مجاور فاستولى عليه المصريون ثم حملوا على البرج الذي يدافع عنه عمر بن سعود فثبت ومن معه ، غير انهم تراجعوا فيما جاؤوهم من الخلف . ثم حملوا على فيصل والذين معه فثبتوا وقاتلوا قتالاً شديداً . وانتهت المعارك في ذلك اليوم بارتداد الدرعيين الى «السلماني» على شفير الوادي ، اذ وقف فيصل وأخوه سعد وحولهما كثير من الشجعان ، فقاتلوا قتالاً شديداً وردوا المصريين وقتلوا منهم مقتلة كبيرة .

الاستيلاء على خط الدفاع الأول

وتم للمصريين بهذه الحركة الاستيلاء على خط الدفاع الاول ، كما نقول في الاصطلاح العصري ، وانتقلت المعركة الى خط الدفاع الثاني . وكان هذا الخط كما يأتي :

رابط في بطن الوادي فيصل وتركي وفهد وأعمامهم وجمع كبير من الدرعيين وغيرهم . ورابط بجانب الوادي جنوباً ابراهيم بن سعود ومعه ابناء البجيري والمريبح من احياء الدرعية وغيرهم، ورابط في اعلى الجهانة في رأس الجبل ابراهيم بن سعود وابن اخيه سعد بن عبدالله ومعه مدفع كبير وحوله جمع غفير . وكان ثقل الحرب يتركز في هذه الناحية .

حرب الخنادق

وبدأت حرب الخنادق ، ولزم كل فريق خنادقه ، وهي متقابلة . وكان القتال يدور في غالب الايام من داخلها ، ثم تحولت فصارت المعارك تنشب كل

يوم ووقت ، وكانوا يتضاربون من داخلها بالبنادق والسيوف . وكانت المدفعية المصرية تواصل صب قنابلهـا دون توقف فتلهب الجو . وصبر الدرعيون وثبتوا وقاتلوا اعداءهم حتى ملأوا فجاج الارض من جثثهم . وكانوا أحيـــاناً يحملون عليهم ، والمصريون يحملون ايضـاً . وكان الباشا يتقدم المهاجمين ، سائقـاً رجاله امامه ، وكان المصريون يعوضون خسائرهم من القتلى بمن يستحضرونه من الخارج فاذا خسروا ألفـاً جاؤوا بألفين ، وكانت الامدادات تردهم من مصر اسبوعيـاً وبدون انقطاع ، وكانت قوافل الطعام والزاد والسلاح ترد على الدوام .

وازدادت ضائقة اهل الدرعية ، بسبب طول زمن الحصـار وامتداد القتال وقد استمرت نحو ستة أشهر ، فقدوا خلالها كل ما كان مدخراً لديهم ، كما ان عدد المقاتلين منهم كان يتناقص تدريجاً لعدم وجود موارد ، على ان ذلك لم يحل بينهم وبين الاستمرار في القتال .

ولما طال زمن الحرب بعث الباشا خيلاً الى (عرقه) القرية المعروفة في أسفل الدرعية ، فاستولوا عليها وأشعلوا فيها النار .

واستمرت المعارك دون انقطاع .

واقترح بعض ابنـــاء نجد من الذين انضموا الى الباشا ومشوا في ركابه — اقترحوا عليه ان يبعث الى اهل البلاد النجدية التي دخلت في طاعته ، فيأخذ من كلٍ منها رجالاً يقاتلون معه ، وقالوا ان ذلك اضمن للنجاح والفوز ، فالنجدي يعرف كيف يقاتل النجدي ، فأخذ باقتراحهم وجند كثيرين من أبناء نجد اشتركوا في القتال .

وأصابت قنبـلة مستودع الذخيرة المصري فانفجر ، فأحدث انفجاره دوياً هائلاً وأهلك خيلاً ورجالاً ، وأحرق خياماً، فتفرق المصريون في رؤوس الجبال خوفاً وهلعاً ، فأرسل الباشا يطلب امدادات وأسلحة بدل مـا فقد ، فجاءه ما طلب من نواحي نجد ثم من مصر ، وتواردت عليه القوافل من البصرة والزبير. وانضم اليه النجديون الذين اجلاهم آل سعود عن بلادهم ، وكثرت لديه الوفود

والمعدات ، فانتعش وشدد الضغط على الدرعية وسكانها ، وأعلن الامان لكل من يخرج منها وينضم اليه . وقتل في هذه المدة فيصل بن سعود ، فحل محله شقيقه تركي في قيادة خندقه .

وتتابعت المعارك ، فيوماً يحمل هؤلاء ، ويوماً أولئك ، وأخيراً اشتبكا بمعركة كبيرة جنوبي الدرعية قتل فيها كثيرون .

ودارت معارك عنيفة في قرى عمران شرقي البلد . ثم ان آل دغيثر واهل الناحية الشمالية ، حملوا على مدفعية المصريين وأرادوا جر بعضها فوجدوه مربوطاً بسلاسل الحديد .

وطال امد الحصار ، وارتفعت اسعار الزاد ، ونفد المدخر فغادر الدرعية كثيرون من ابنائها وغيرهم فشجع ذلك المصريين فزادوا الضغط واخترقوا خط الدفاع الثاني من جهة المشيرفة وواجهوا الدرعيين من امامهم وخلفهم فتفرقوا ولجاء كل منهم الى منزله واحتمى فيه .

حرب الشوارع

وانتقلت الحرب بعد ذلك الى الشوارع وطبق ابناء الدرعية في النصف الاول من القرن الماضي ، هذا الضرب من ضروب القتال الذي يزعمون انه من مبتكرات هذا القرن ، فقاتلوا المصريين في الشوارع وأمام الدور ، وفي داخل المنازل ، وفي كل مكان .

وانتقل الامام عبد الله بعد ان اشتد الضغط من برج سمحان الى قصره في الصريف ، تاركاً مخيمه ومدافعه وثقله في مكانه فنزل الباشا في محله وسلط مدفعيته على باب الظهيرة وخربه بعنف . وانتشر المصريون في السهل ودخلوا البيوت فثارت ثائرة عبد الله بن الشيخ محمد عبد الوهاب فاستل سيفه وانتدب اهل النخوة والحمية فاجتمع عليه اهل البجيري وقاتلوا اصدق قتال وردوا المصريين بعد ان قتلوا منهم الكثيرين .

يطلبون الصلح

وادرك قادة الدرعية ، بعد ان وصلت الامور الى هذا الحد انه لا فائدة ترجى من اطالة امد المقاومة ، فأرسلوا الى الباشا يطلبون الصلح فأجابهم اليه ، فزاره وفد قوامه عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله بن محمد سعود ، وعلي بن الشيخ محمد عبد الوهاب ، ومحمد بن مشاري بن معمر ، وطلبوا منه ان يصالحهم على البلد كله ، فأبى ان يصالحهم الا على السهل أو يحضر عبد الله بن سعود بالذات ، فتم الصلح على أهل السهل وحده وذلك يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة سنه ١٢٣٣ .

وحمل المصريون حملة كبيرة على اهل الصريف حيث قصر الامام واحاطوا به من جميع جهاته ، فنقل المدافع التي كانت في القصر الى مسجد الطريف ، واستمر القتال هنا مدة يومين بأقصى شدته ، فجنح الامام بعده الى التسليم ، فأرسل الى الباشا يطلب الصلح ، فأجاب اليه ، وهذه هي الشروط التي تم الاتفاق عليها :

١ — تسلم الدرعية للجيش المصري .

٢ - يتعهد ابراهيم بأن يبقي عليها ولا يوقع بأحد من سكانها .

٣ — يسافر عبد الله بن سعود الى مصر والاستانة عملاً برغبة السلطان .
ووقع على هذا الاتفاق في شهر ذي القعدة سنة ١٢٣٣ .

وبعد يومين من توقيع الاتفاق طلب ابراهيم من الامام ان يتجهز للسفر الى مصر فذهب ومعه اثنان او ثلاثة من اتباعه .

شهداء آل سعود

وأورد ابن بشر وهو يصف هذه المعارك اسماء الذين استشهدوا فيها من آل سعود « ليعرف النـاس صدقهم في الحروب ومباشرتهم القتال بأنفسهم » وقـد بلغوا عشرين شهيداً هذه اسماؤهم :

فيصل بن سعود واخوه ابراهيم ، واخوه تركي مات في آخر الحصار مريضاً وفهد بن عبد الله بن عبد العزيز ، وفهد بن تركي بن عبد الله بن محمد سعود ، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود واخوته ابراهيم وعبد الرحمن وعبد الله ، وابراهيم بن عبد الله بن فرحات ، وعبد الله بن ناصر بن مشاري ، ومحمد بن عبد الله بن محمد سعود ، وسعود بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وابن محمد ابن عبد الله بن محمـد سعود ، وسعود بن عبد الله بن محمد بن سعود ، وابنه محمد . والباقون من آل ثنيـــان ، وآل ناصر ، وآل هذلول ، وهؤلاء لا يحصى عددهم لكثرتهم .

واستشهد من آل معمر ١٥ رجلاً منهم ٩ في معركة ضرمى . واستشهد من آل دغيثر ٦ ، واستشهد الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

مصادرة أموال آل سعود

وأقـام الباشا تسعة أشهر في الدرعية بعد استـلامهـا ينظر في شؤون نجد وأصدر وهو فيها أمراً الى آل سعود وآل الشيخ بأن يسافروا جميعاً كباراً وصغاراً، نساءً ورجالاً، مع ابنائهم وذويهم الى مصر، فارتحلوا اليها تحت مراقبة شديدة ، الا من هرب او اختفى. وكان تركي بن عبد الله واخوه زيد في عداد هؤلاء ، ولجأ القاضي الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد عبد الوهـــاب الى عمان وقطر .

وصادر كل ما كان لآل سعود وآل الشيخ من مال وعقار ولم يبق لهم شيئاً.

تدمـــير الدرعية

ووصلت في شهر شعبان سنة ١٢٣٤ أي بعد نحو عشرة اشهر من ختام الحرب اوامر الى ابراهيم من محمد علي تقضي بتدمير الدرعية وهدمها . فأصدر أمراً الى أهلها بأن يرحلوا عنها ، وأمر جنده بأن يهدموا دورها وقصورها ودكاكينها ويقطعوا نخيلها وأشجارهـا ولا يبقوا على شيء منها ، ففعلوا ، وتفرق أهلها في الضواحي .

وأصدر الباشا تعليمات الى جنوده بهدم الاسوار والحصون في جميع انحـاء نجد وتدميرهـا ، فهدمت ودمرت . وقتلوا خلال هذه العملية عدداً من رؤساء نجد وشيوخها فكان محمد بن عبد المحسن بن علي امير شمر في عداد المقتولين ، ومثله أمير عنيزه ، وفهد بن سليمان بن عفيصـــان واخوته عبد الله وابن عمه ابراهيم ، وصادر اموالهم وكل ما كان لديهم ، وقتل ايضاً علي بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب . وما كانت للنفوس اية قيمة في نظرهم .

مجموع القتلى

ونقل الشيخ ابن بشر رواية رواها كاتب ابراهيم باشا الخاص لأحد النجديين من أتباع سعود فقال له : ان مجموع قتلى الحملة المصرية بلغ ١٢ الفـــاً وخرج الشيخ من هذا الرقم ، بعد معادلة بسيطة ، بالنتيجة الآتية :

قدر عدد قتلى الحمـــلة في معارك الرس وعنيزة وشقرا وضرمى ، وهي التي اشتبكت فيها قبل بلوغ الدرعية ، بألف وخمسماية الى ألفين ، وأما الباقون فقتلوا في معاركها .

وقدر عدد الذين قتلوا من الدرعية ومن ابناء النواحي المجاورة الذين انضموا اليها بألف وثلاثماية .

نظرة في أعمال الحملة

حملت حملة محمد علي الى شبه الجزيرة العربية الفساد ، والرشوة ، والخراب، والدمار ، واحرقت مدنها وقراها ، وقتلت ابناءها ورجالهـــا ، وذهبت بكل ما كان فيها من عمران ، ونشرت الامراض الخبيثة في ارجائهـــا ، فقد كانت حتى دخولها نظيفة من كثير من الامراض التي لم تكن معروفة بالشرق العربي قبل اختلاطه بالاوربيين كالافرنجي والسيلان وغيرهما .

وفضلًا عن ذلك فقد تألفت الحملة من اسوأ العناصر وأكثرها خسة ودناءة فكان معظم رجالها من الالبانيين والترك ، ولا يزالون يتحدثون في الحجاز عن جرائمهم وآثامهم وفظائعهم. اما ضباطها وقوادها فكانوا بالجملة من الترك والالبان والشراكسة .

وكان هنالك عدد كبير من المدفعيين والفنيين الاجانب من غير المسلمين ، وقد امعن هؤلاء وهؤلاءفي السلب والنهب وارتكاب المظالم والموبقات والفظائع حتى لم يبق مكان في تلك البلاد لم يصبه رشاش مظالمهم .

بدأت بمذبحة وانتهت بكارثة

تلك كانت خاتمة حملة محمد علي الى نجـد ، بدأت بمجزرة القلعة بالقاهرة التي ذبح فيها ٤٦٩ انسان في وقت واحد ، وانتهت بتدمير الدرعية ، اجمل مدن نجد واكثرها عمراناً وسكاناً، على المنوال الغريب الذي وصفناه ، وقد استفظعها الناس كلهم . واذا دلت على شيء فانها تدل بالاضافة الى مجزرة القلعة ، على ما ركب في رأس ذلك الطاغية من نهم الى شرب الدم والقتل والتدمير ، مما تفرد به دون رجال عصره .

ولقد كان لهذه الفظائع والمظالم – وهي ليست إلا جزءاً صغيرا مما أجرم واقترف – تأثيرها في نفسه ، فاستيقظ ضميره في آخر عمره فارتاع وأضاع عقله وصوابه ودخل في عداد المجانين ، وذلك سنة ١٢٤٨ ، ثم هلك بعد قليل وكذلك جزاء الظالمين .

خرائب الدرعية واطلالها

ومع انقضاء هذه المدة الطويلة نحو ١٤٠ سنة « شعبان ١٢٣٤ » على تدمير مدينة الدرعية ، عاصمة جزيرة العرب واجمل مدنها واكثرها عمراناً ، وبالسكان ازدحاماً ، بيد الجيش المصري ، فان الحكومة السعودية ، لا تزال تمنع ازالة الانقاض والهدم والردم ، مبقية عليه كما تركه المصريون وتاركة كل قديم على قدمه .

ولقد زار كاتب هذه السطور الدرعية ، ولا تبعد عن الرياض العاصمة في الوقت الحاضر اكثر من ٢٥ كيلومتراً وهي في شمالها ، وبينهما طريق معبدة مرصوفة ، ووقف على اطلالها وشاهد ابنيتها المدمرة وقصورها الخربة ومساجدها المنهارة ، وشوارعها المقفرة ، فآلمه ما رآه من مشاهد مؤذية مزعجة .

ومدينة الدرعية مبنية على الضفة الغربية لوادي حنيفة ، وعلى جانبها الآخر الضفة الشرقية ، ويفصل بينهما الوادي – تقوم جبانة الرياض القديمة ، وفيها ضريح الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس دعوة الاصلاح الديني ورائدها ، وقبره معروف هناك ، ولا يختلف في شيء عن القبور العادية الكثيرة ، ومكانه في أقصى الطرف الشمالي للجبانة ، وسألت عن قبور الأئمة من آل سعود، وهم يرقدون هناك فلم أجد من يعرفها ، او يرشد اليها .

عهد الامام تركي بن عبد الله بن سعود

وضعت الحرب أوزارها في نجد باستسلام الدرعية وسفر الامام عبد الله بن سعود الى مصر والاستانة ، بعد أن استمرت نحو ثماني سنوات (شوال سنة ١٢٢٦ - شعبان سنة ١٢٣٤) وبعد ان كلفت نجداً الغالي من الدماء الزكية ، وبعد ان قضت على دولتها ووحدتها، وذهبت بثرواتها واموالها، وبكل ما كانت تملك وتدّخر ، وحملت اليها الخراب والدمار ، وفساد الاخلاق، وألقت العداوة والشقاق بين ابنائها وسكانها .

ولم يعد محمد علي الاقطار العربية التي استولى عليها ، الى السلطان العثماني وقد فتحها باسمه ، وهاجمها لحسابه ، بل احتفظ بها لنفسه ، وحكمها بواسطة موظفين كان يرسلهم اليها من القاهرة مباشرة ، ومن دون ان يكون للسلطان رأي بانتقائهم واختيارهم ، ولئن سكت السلطان وسكتت حكومته وتغاضت ولم تحرك لساناً بالاعتراض ، ولم ترسل مذكرة بالاحتجاج ، فلأنها كانت ضعيفة وعاجزة لا تستطيع ان تفعل شيئاً لاستردادها ولاعادة محمد علي الى حظيرة

الطاعة ، ولعلها كانت تنتظر فرصة أكثر مناسبة، او مساعدة أجنبية من الخارج فتنتزعها منه وتحاسبه حساباً غير يسير .

ولم يكن الحكم المصري الجديد الذي أخضعت له بلاد العرب أفضل ولا أكرم من الحكم العثماني القديم ، اذا لم نقل انه شر منه وأسوأ ، فقد أفسد الأخلاق والضمائر ، وأباح المحرمات والمسكرات ، وحارب الدين وتعاليمه ، وفتك بعلمائه وحملته ، وحاربهم حرب إبادة وإفناء ، وكتب النجديين التي وصلت الينا من الذين شهدوا ذلك العهد وعاشوه ، طافحة بالشكوى والأنين من الحالة التي صارت اليها بلادهم ، وصار اليها شعبهم في هذا العهد السيء المظلم الذي أعاد نجداً على حد قولهم ، الى عهد الجاهلية ، ومحا التوحيد وأحيا البدع وجدد عهد الخرافات .

وكان اول ما فعله الحكم المصري الجديد ، انه مزق وحدة نجد الادارية ، وهي أثمن وأغلى ما نالته في عهد الاصلاح ، وأعاد البلاد الى النظام القديم ، نظام المقاطعات والاقطاع ، فعين لكل مدينة او عشيرة شيخاً او رئيساً يحكمها طبق الاوضاع القديمة ، وكان يكتفي بجباية الضرائب ويتبع في جبايتها اسوأ الاساليب وأقساها .

المحاولة الاولى

ولم تفت النكبة على شدتها وهولها ، في عضد آل البيت السعودي ، ولم تحملهم على الخضوع والاستسلام ، إذا لم نقل انها شحذت عزائمهم ودفعتهم الى العمل ، لاسترداد الاستقلال الغالي وتجديد الدولة التي أقاموها وشيدوها بسيوفهم وبتأييد الشعب لهم ، والتفافه حولهم .

وكانت اول محاولة بذلت في هذا السبيل ، تلك التي قام بها محمد بن مشاري ابن معمر وهو ابن أخت الامام سعود ، فقد وصل في اواخر سنة ١٢٣٤ ، اي بعد التدمير باسابيع الى الدرعية ، فنصب نفسه إماماً ، وكاتب اهل البلدان

ودعاهم الى طاعته والوفود عليه ، فاستجاب له بعضهم وهو الاقل . على انه ليس فيما بين يدينا من اخبار ذلك العهد ما يدل على أنه كان على اتفاق مع المصريين فيما فعله ، وكانوا يحتلون البلاد .

ووصل الى الدرعية في شهر جمادى الثانية سنة ١٢٣٥ ، أي بعد أشهر من وصول بن معمر اليها ، مشاري بن سعود ومعه بعض أهـل القصيم وكميات من الأرز والطعـام ، ونزل في بيت من بيوت اخـوانه ، فانضم اليه ابن معمر وبايعه كما بايعه اهـل سدير والمحمل وبعض اهل الوشم ، على ان ابن معمر ، والظاهر انه نـدم على بيعته ، لمشاري ، انقلب عليه واعتقله وسلمـه الى السلطة المصرية فنقلوه الى سجن عنيزه وقتلوه.

وصول تركي بن عبد الله

ووصل الى الدرعية ايضاً في تلك الأيام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود ومعه أخاه زيداً .

ويقول ابن بشر في تاريخه ج٢ ص٦٠ : ان تركياً هذا غادر الدرعية تحت جنح الظلام ، عند ما أشرفت معركتها على النهاية ، فنزل على آل تامر في بادية العجمان وتزوج من بنت غيدان بن جازع بن علي ، فولدت له ولداً اسمـاه « جلوي » لانه ولد في زمن الجلاء . ثم اخذ يتنقل بين البلدان والعربان داعياً الى احياء المجد ، حتى وصل الى مدينة الحلوة المعروفة في الجنوب فأقام فيها حتى أدرك انه آن أوان العمل فخرج منها على رأس شرذمة من الرجال وجاء فاستقر في «عرقة» (اسفل الرياض) واتخذها قاعدة له ، ثم انتقل الى حاير سبيـع ، حين اشتد الخلاف بين مشاري وبين ابن معمر .ولما تنكر الاول للثاني واعتقله وسلمه للمصريين ، سار والذين معه الى ضرمى واستقر فيها بعد ما أحبط مؤامرة دبرها ابن معمر للتخلص منه .

واستقبل وهو هنـــاك وفوداً من أهل سبيع وغيرهم جاؤوا لمبايعته ، ثم وصل والذين معه في شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٥ الى الدرعية وحاصر ابن معمر في قصره ثم اعتقـــله واستولى على الرياض . بعد ان ضرب عنقه وعنق ولده ، جزاء تسليمه مشاري الى المصريين، ونقل العاصمة الى الرياض واتخذها قاعدة له.

وارسل المصريون ،بعد استيلائه على الرياض قوة لاخراجه ، فقاومها وهزمها فارتدت الى ثاذق ورابطت فيها .

وأعد حسين بك قائد الحامية المصرية في القصيم قوة كبيرة ، سار على رأسها الى ثرمدا . ثم أرسل فاستنفر أهل المدن المجاورة ، فلباه بعضها فسار بالذين معه الى الرياض، فجمع تركي رجاله واستعد للمقاومة ، بيد ان تخلي أهل الرياض عنه ومحاولتهم محاصرة قصره ، جعـــله يتسلل في الليل منفرداً . فطلب الذين كانوا معه وعددهم ٧٠ شخصاً ، الامان عند طلوع النهـار ، فأجيبوا اليه . وكان من بينهم عمر بن محمد بن سعود وأبناؤه الثلاثة ، فأعدموا .

مظالم الجيش المصري

وأرسل حسين بك هـذا ، وكان لا يزال في ثرمدا ، منادياً ينـــادي في الاسواق سنة ١٢٣٦ داعياً ابناء مدينة الدرعية الذين كانوا هنـاك ، القدوم عليه ليعطيهم كتباً يعودون بموجبهـا الى مدينتهم ، فاجتمع لديه نحو ٢٣٠ منهم ، فأمر باعدامهم فقتلوا عن آخرهم ، وأخذوا اموالهم وبعض اطفالهم ، وتركوا البعض الآخر مع النساء . ومن الذين قتلوا في تلك المجزرة صالح بن ابراهيم بن دغيثر ، و٩ من آل سليم ، وغيرهم وغيرهم .

وأقام حسين هذا ، وكان من الطغاة البغاة ، الذين زادوا في حقد الناس على مصر وحكومتها ، حاميات عسكرية في مدن نجد ، كانت تفرض الغرامات وتأخذ من الناس كل ما لديهم من أموال. ولم تكتف بذلك ، بل جمعت الحلي والذهب والفضة ، والاواني والطعـــام ، وصادرت السلاح ، وقطعت اشجار

النخيل ، وحبست النساء والاطفال وعذبتهم ، فتفرق اهل المدن وجأوا الى الجبال والصحاري هرباً من الظلم النازل بهم .

عودة الامام تركي

وكثرت الفتن ، وكثر السلب والنهب ، وكثرت اعتداءات الجنود على الناس ، وزادت المظالم ، فكان ذلك حافزاً جديداً حفز تركي على العودة الى ميدان الجهاد لانقاذ قومه من شر حكم فرض عليهم ، فأقبل في سنة ١٢٣٨ من الحلوة الى «عرقه» واتخذها قاعدة له ، وما كان عدد رجاله يزيد على الثلاثين ، لا سلاح لديهم ، فكان محمد بن غيهب امير شقرا اول من انضم اليه . وأرسل ايضاً تركي ابن عمه مشاري بن سعود الى سدير مع كتاب منه الى أميرها سويد لكي يقدم اليه ومعه كل من يستطيع احضاره من الرجال والسلاح ، فلباه وجاء ومعه اهل جلاجل وسدير والمحمل ومنيخ .

ورفع الامام راية الحرب ، بعد ان تجمعت لديه هذه القوى وقصد الرياض ومنفوحة ، وفيهما حامية مصرية لا يقل عدد جنودها عن ٦٠٠ ، فاشتبك معها فانسحب سويد ومعظم الذين كانوا معه ، فحاصره المصريون والذين بقوا معه ، فصبر لحربهم ثم انسحب وتراجع . وانضم أهل الرياض الى الحامية المصرية وقاتلوه معها خوفاً على مدينتهم .

وعاد الامام فأعد سنة ١٢٣٩ قوة عسكرية سار على رأسها الى ضرمى بعدما استخلف في عرقه عمر بن عفيصان ، فاصطدم بناصر السياري فوثب عليه ولم يتركه الا بعد لفظ روحه .

ووقعت فتنة بين اهل سدير والروضة قتل فيها كثيرون من الفريقين ، فنهض الامام وسار من ضرمى الى ثاذق وكتب الى الفريقين قائلا : «من كان منكم في السمع والطاعة فليكف عن الحرب والفتنة وليقبل علي» . فأتاه رؤساء سدير وبايعوه ، ثم انه استنفر أهل «المحمل» وسار بهم الى جلاجل ، فبايعه اهلها .

وكتب إلى رئيس بلدة «المجمعة» يدعوه للطاعة فلم يرد ، فاستنفر اهل سدير وسار اليه وحاصره ، فاستسلم وبايع .

وجاءه اهل الزلفى واهل الغاط مبايعين، وكاتب اهل شقرا وغيرهم من اهل الوشم ثم رحل اليهم واقام بينهم ثم سار الى جلاجل ورتب فيها حامية واستنفر اهل الزلفى والغاط ومنيخ وسدير وسار الى حريملا فاستعصت عليه فنازلها فاستسلمت واطاعت ، ثم اتجه الى منفوحه فاستسلمت واطاعت . وقصد بعد ذلك الى الرياض وكانت فيها حامية مصرية فقاومته ، فحاصرها واستمر القتال بينها نحو شهر ، ثم رحل عنها في نهايته لوصول نجدات اليها بقيادة فيصل الدويش شيخ مطير . على انه عاد الى حصارها بعد رحيل هذا وضايقها وقطع كل صلة بينها وبين الخارج .

وتقدم اليه قائد هذه الحامية يطلب صلحاً له ولاهل الرياض ، فصالحه على ان يخرج بجنوده وقواه ويعودوا الى اوطانهم . وعلى ان يكون لأهل العارض كافة الامن والامان .

فكان هذا اول فوز يناله ، كما كان اول لبنة في بناء تجديد الدولة .

وعهد الامام الى ابن عمه مشاري بن ناصر بأن يدخل الرياض ويتولى امرها وارسل معه حامية قوية .

وانضمت اليه بعد ذلك حوطة بني تميم والحريق وثرمدا وشقرا ووفد اليه امير عنيزه وكاتبه رؤساء القصيم كما انضمت اليه مقاطعة الخرج .

ووصل الى الرياض سنة ١٢٤٢ نجله فيصل هارباً من مصر . ووفد اليه في هذه السنة رؤساء القصيم مبايعين على السمع والطاعة .

وزار الحسا في سنة ١٢٤٤ ، فأقبل عليه علماؤها وامراؤها مبايعين . وقبل ذلك وفي سنة ١٢٤٣ زاره وفد من رؤساء عمان وطلبوا منه ان يرسل معهم قاضياً ومعلماً وسرية تقاتل معهم عدوهم فأجابهم الى طلبهم وانتدب عبد الله بن سعد اميراً فسار معهم ونزل في قصر البوريمي .

واستقبل في سنة ١٢٤٧ مندوباً جاء من بغداد يحمل كثيراً من الهدايا مع كتاب من علي باشا والي العراق ، فرد بالمثل وارسل كتاباً خاصاً مع هدايا اليه .

منشور الامام تركي الى اهل نجد

وأرسل الامام تركي بعد ان استتب له الامر ، وبايعته البلاد والتف الشعب حوله ، المنشور الآتي الى اهل الامصار ، لتلاوته في المساجد ، وللعمل بما جاء فيه ، وهو اشبه بدستور للحكم :

بسم الله الرحمن الرحيم

من تركي بن عبد الله – الى من يراه من المسلمين :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ، فموجب الخط ابلاغكم السلام ، والسؤال عن احوالكم ، والنصيحة لكم والشفقة عليكم ، والمعذرة من الله تعالى ، اذ ولاني الله تعالى امركم ، والله المسؤول المرجو ان يتولانا واياكم في الدنيا والآخرة ، ويجعلنا ممن اذا اعطي شكر ، واذا ابتلي صبر ، واذا اذنب استغفر ، والله تعالى منعم يحب الشاكرين ووعدهم على ذلك بالمزيد . قال الله تعالى « لان شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد » .

فالذي اوصيكم به ، تقوى الله تعالى في السر والعلانية ، قال الله تعالى : « ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقيه فأولئك هم الفائزون » وجماع التقوى اداء ما افترضه الله سبحانه ، وترك ما حرم الله ، واعظم فرائض الله تعالى بعد التوحيد الصلاة ، ولا يخفاكم ما وقع من الاخلال بها ، والاستخفاف بشأنها ، وهي عمود الاسلام الفارقة بين الكفر والايمان ، من اقامها فقد اقام دينه ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع . وهي آخر ما اوصى به النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم ، وهي آخر وصية كل نبي لقومه ، وهي آخر ما يذهب من الدين ، وهي اول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة . وبعض الناس قد يسيء في صلاته ومنهم من يتخلف عن الجماعة ويصلي وحده او في نخله هو ورجاله والمسجد جار له . وفي الحديث « لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد » وهمّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان يحرق المتخلفين عن الجماعة بالنار لولا ما فيهم من النساء والذرية ، وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : « لقد رايتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق » وهذه امور ما يخفاكم وجوبها لكن الكبرى عدم انكار المنكر وتزيين الشيطان لبعض الناس ، ان كلاً ذنبه على جنبه . وفي الحديث « لتأمرنّ بالمعروف ولتنهونّ عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتطرؤن على الحق اطراءً او ليعمنكم الله بعقابه » ، وكذلك الزكاة وبعض الناس يبخل ويستخف بها ويجعلها وقاية دون ماله والعياذ بالله تعالى وأنتم تعلمون انها من اركان الاسلام . قال الله تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون». وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حق الله منه إلا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح واحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وظهره كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وأما الى النار » . ثم ذكر عقوبة مانعها من الابل والبقر والغنم ، وكل مالا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه . ونصاب الزكاة تفهمونه . وعروض التجارة مثل الزرع الذي يدخره صاحبه ولو كان من زرع فقد زكى اذا حال عليه الحول وهو معد للتجارة وجبت فيه الزكاة او تمر او اثمانهما كل ما اعد للتجارة تجب فيه عند الحول . والله يبتلي الغني بالفقير ، وطلب منكم اليسير ، فمن أداها فنرجو الله تعالى ان

قبلها منه ، ويخلفها عليه ، ومن مكر بها فالله خير الماكرين . وكذلك معاملة الربا تفهمون انها اكبر الكبائر وان مرتكبها محارب لله ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم . قال الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا اضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » . وقال تعالى : « الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره الى الله ومن عاد فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » . وفي الحديث ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « لعن الله آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه » ، فلعنهم سواء فدل هذا الحديث على ان الرضا بالمعصية معصية ، وان من لم ينكر على العاصي كالمرائي فهو مثله . وفي حديث آخر : « الربا سبعون ضرباً أيسرها مثل من ينكح امه » . وفي الحديث ايضاً : « أربعة حق على الله لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه » . ومن أنواع الربا الطعام بالطعام الى اجل ، وبيع الذهب بالفضة ، والفضة بالذهب ، والتفرقة قبل القبض ، أو بيع الملح بالطعام قبل القبض . وفي الحديث: « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ، والبرُ بالبرُ ، والشعير بالشعير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح يداً بيد ، وزناً بوزن ، كيلًا بكيل ، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي ». فاذا اختلفت هذه الاجناس فبيعوا كيف شئتم اذا كان يداً بيد . ومنه القرض الذي يجر منفعة . وفي الحديث : « كل قرض جرّ نفعاً فهو رباً ». وكذلك قلب الدّين بالدّين على المعسر اذا كان في ذمته دراهم فعجز عن وفائها فأسلمها اليه بطعام وهذا يُشبه ربا الجاهلية ، وكذلك بيع العينة وهي حرام، بأن كان عند رجل سلعة فاشتراها منه انسان الى اجل ، ثم اشتراها منه صاحبها الذي باعها بنقد دون ثمنها . وأنواع الربا لا يمكن حصرها . فيلزم المسلم الذي له معاملة ان يفهم

أنواع الربا ودقائقه لئلا يقع فيه ، والجاهل يسأل العـالم ، والخطر عظيم بسخط الرب ، ويمحق المـــال ، فأنتم استعيذوا بالله ، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان . وكذلك المكاييل والموازين . وأنا ملزم كل امير بأن يحضر مكاييل بلده ، صغارها وكبارها ، وينظر فيها عن الخلل وتكون على مكيال واحد . وكذلك تفعلون بالموازين ، وتفقد الناس كل شهر ، ولا يحل بخس المكيال والميزان ولو كانت المعاملة مع ذمّي كما في الحديث: «أدّ الأمانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك» . وكذلك تفقدوا النـاس عن المعاشر الرديئة والذين يجتمعون على شرب التتن والنشوق به ، وكل اهل بلد لا بد ان يرتبوا مجالس الدرس في الجوامع فان كانت خاوية فلا بد ان يعمروها ، والذي يعرف بالتخلف عن مجالس الذكر يرفعونه الينا . وأنا مطلق الامر بالمعروف والتناهي عن المنكر اذا كان عن علم ينصح أولاً ويؤدب ثانياً ، ومن عارض من خاص او عام فأدبه الجلاء عن وطنه . وهذا من ذمتي في ذمة كل من يخاف الله واليوم الآخر . وأنا أشهد الله عليكم اني بريء من ظلم من ظلمكم ، وانا لنصرة لكل صاحب حق ، وعون لكل مظلوم : «واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها» . وأعزكم الله بعد الذلة . وجمعكم بعد الفرقة ، وكثّركم بعد القلة وآمنكم بعد الخوف . وبالاسلام اعطى الله ما رأيتم والسلام .

اغتيال الامام تركي

في سنة ١٢٤١ وصل الى الرياض قادماً من مصر مشاري بن عبد الرحمن بن مشاري بن سعود ، وهو ابن شقيقة الامـام تركي ايضـاً فرحب به وعينه اميراً على منفوحة ثم على الرياض .

وغادر مشاري هذا البلاد بعد مدة مغاضباً ، وبعد مـا حاول اقناع بعض رؤساء العشائر بالانضمام اليه في ثورة يضرمها على خاله فـأبوا ، فذهب الى مكة طالباً المساعدة من شريفها محمد بن عون ، فاعتذر له ، فلما تقطعت به الاسباب عاد الى نجد ونزل بلدة « المذنب » وطلب من شيوخها ان يتوسطوا له عند خاله بعد ما اظهر الندم والتوبة ويطلبوا له العفو والامان ، فعفا عنه ورحب به عند وصوله وانزله في بيت اعده له وكفل جميع حـاجاته ، على انـه منعه من الاختلاط بالناس والاتصال بالخارج .

وجاء الامـام تركي يوم الجمعة اخر شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٩ الى مسجد الطريف لاداء صلاة الجمعة ، وبعد ان أداهـا وخرج على عادته من الباب الواقع جنوب المبرات عائداً الى قصره ، تقدم منه احد رجـال مشاري وسلمه كتاباً فـأخذ يقرؤه والى يساره احد اتباعه ، فاعترضه عبد آخر لمشاري اسمه ابراهيم بن حمزه وأدخل « طبنجة » كان يحملها في كمه وهو غـافل ، ثم اطلقها فأصابت منه مقتلاً فسقط لساعته .

وخرج مشـاري من المسجد ، وهو الذي دبر المؤامرة ، وسيفه مشهر في يده ومعه بعض انصـاره والسيوف في ايديهم ، وهددوا كل من يتحرك او يتكلم بالقتل .

ودخل مشاري والذين معه الى القصر وجلس للنـاس يدعوهم الى بيعته . وأصدر امراً الى نساء تركي وعياله ونساء ولده فيصل ان يخرجوا منه فخرجوا ، واستولى على كل ما كان فيه من اموال وسلاح ، وزع جانباً كبيراً منه على اتباعه وانصاره .

فاجعة مؤلمة

وهكذا ، وعلى هذا المنوال المنكر والمنطوي على شر انواع الخسة والدناءة، لفظ الامام تركي روحه بعد ان جاهد في الله حق جهاده ، وبعد ان جدد الدولة

السعودية ورفع منارها عالياً ، ولئن دل عمله هذا على ما فيه من رجولة واقدام فان فيه معنى آخر وهو حب اهل نجد للبيت السعودي وحنينهم الى حكمه ، وتقديرهم لمزاياه وفضائله ، ولولا هذا الحب وهذا الحنين وهذا التقدير لما فاز الامام تركي ، ولفشل كما فشل سواه من الذين حاولوا ما حاول ، وسعوا لما سعى .

لقد جرب اهل نجد انواعاً منوعة من نظم الحكم بعد انقضاء عهد آل سعود ، فشقوا وذاقوا الامرين . ولذلك لم يترددوا في الالتفاف حول الراية السعودية حينما رفعها هذا الشبل ، فمشوا تحتها لما توحي به من الثقة والاطمئنان وهي ثقة صنعها ابناء البيت السعودي ودفعوا ثمنها جهداً غالياً ، ودماء ذكية بذلوها في سبيل نجد ، فرفعوا شأنها وعظموا قدرها فأحبتهم وناصرتهم .

الانتقام والثار

ووصل النبأ الى نجله فيصل ، وكان يغزو في القطيف ، فسار الى المفوف وهناك دعا رؤساء جنده وكلهم من سادة البلاد ، فأبلغهم نبأ الفاجعة وقال لهم « لا بد من الانتقام والأخذ بالثأر » ، فبايعوه على السمع والطاعة . ثم تجهز وسار مع جيشه سراً حتى بلغ مكاناً قريباً من الرياض مساء يوم الثلاثاء ١٧ محرم سنة ١٢٥٠ ، فنزل فيه وأصدر امراً الى بعض رجاله بأن يدخلوا العاصمة سراً ويضعوا اليد على حصونها ويستولوا على البيوت المجاورة للقصر ، فنفذوا أمره وتمت العملية بسهولة ، ومشاري وانصاره في غفلة ولم يشعروا الا والاصوات تملأ الجو مطالبة بالثأر ، فأغلق باب القصر وتحصن فيه .

وركب فيصل بعد صلاة الصبح من مكانه ودخل الرياض واشعل نار الحرب على من في القصر وعددهم ١٤٠ رجلاً ، وضرب الحصار عليهم وانتهت المعركة مساء يوم الخميس ١١ صفر سنة ١٢٥٠ بقتل مشاري وستة من رجاله واستسلام الباقين .

الامام تركي والانكليز

جاء في الوثائق الرسمية لحكومة الهند ، ان الامام تركي بن عبد الله جدد الدولة السعودية سنة ١٨٢٤ وأعادها الى الحياة .

واسترد مقاطعة الحسا سنة ١٨٣٠ واخضع في السنة الثانية البحرين ومسقط .

وأعاد سنة ١٨٣٣ النفوذ السعودي الى الساحل المهادن والمنطقة الواقعة وراءه واحتل البريمي .

وعقد سلطان مسقط سنة ١٨٣٣ اتفاقاً مع الامام تركي تعهد فيه ان يؤدي زكاة سنوية قدرها خمسة الآف ريال .

واشترط الاتفاق بأن يحتفظ كل فريق بما تحت يديه من اجزاء الساحل ، حسب الحدود المعروفة . وكان ساحل مسقط يمتد حتى جعلان ، اما ساحل نجد فيمتد حتى القطيف .

واتفق الفريقان ايضاً على تبادل المساعدة لاخماد ما يقع من الفتن .

وتصف سجلات حكومة بمباي الامام تركي بأنه « كان يحكم بحصافة واعتدال » .

ويقول لوريمر في تاريخه (ص ١٢٤) ان الامام تركي ، كما جرت العادة عند الحكام من آل سعود ، رغب في ان يتمتع بعلاقات مجاملة مع الحكام

البريطانيين ، فجرت اتصالات ودية دلت على خلق متواضع قويم اظهره الامام تركي نحو حكومة بمباي سنة ١٨٣١ (١٢٤٧) ، وعلى الرغم من انه لم تكن هنالك معاهدة موقعة تتمشى مع مقترحاته ، فـــانه تلقى على رسائله جواباً ينطوي على المجاملة .

عهد الامام فيصل بن تركي

الدور الاول

هنالك اجماع بين مؤرخي نجد الذين دونوا سيرة الامام فيصل بن تركي على القول ، بأنه كان من الصفوة المختارة ، وانه كان يتمتع بمجموعة من المزايا والفضائل قلّ ان اجتمعت لسواه ، مما اكسبه مقاماً محموداً في نظر قومه ، وجعلهم يندفعون في تأييده ، ويتسابقون الى نصرته .

وتختلف الظروف التي وصل فيها الى الحكم عن تلك التي وثب فيها اليه والده ، فقدكانت ظروفه ايسر وأسهل . وبيان ذلك، ان محمد علي وكان يحتفظ بالسيادة على نجد، اندفع بين سنة ١٢٣٩-١٢٤٣ في حرب مع الشعب اليوناني، تلبية لدعوة السلطان العثماني الذي كتب اليه يطلب منه اخضاع هذا الشعب الذي ثار يطلب الحرية والاستقلال ، فاستجاب له وأرسل جيشه واسطوله ، فاشتبك في معارك حامية كلفته نحو ٣٠ الف جندي ومعظم سفن اسطوله ، فأقطعه السلطان جزيرة كريت وشبه جزيرة المورة في اليونان مكافأة وتعويضاً .

والظاهر إن انشغاله بالحرب اليونانية وارساله الحملة تلو الحملة الى تلك البلاد جعل قبضته العسكرية تتراخى على نجد فلم يعد يوليها العناية الكافية ، بل تركها لقواده العسكريين وكان كبيرهم برتبة لواء واسمه احمد باشا ينزل في مكة .

هذا هو العامل المباشر في التحول الذي لاحظناه ونحن ندرس سيرة الامام تركي . فقد لزمت الحاميات المصرية التي كانت منبثة داخل نجد اماكنها ولم تتدخل ولم تقاومه ، واقتصرت مهمتها على جباية مال الضرائب وارساله الى القاهرة ، معتزلة الشؤون الداخلية الا في نطاق محدود .

وتبدل الحال بعد انتقال الامر الى الامام فيصل ، وقد تم ، ومحمد علي منشغل بارسال حملته الى بلاد الشام [1] للاستيلاء عليها وطرد الترك منها ، ولقد شجعته الانتصارات الاولى التي نالتها هذه الحملة وجعلته يطمع في انشاء امبراطورية عربية كبرى تنتظم البلاد التي تنطق بالضاد ، فعاد الى التدخل في شؤون الجزيرة بعد ما اهملها ، فأرسل في سنة ١٢٥٢ حملة الى الحجاز نزلت في ينبع وكانت بقيادة اللواء اسماعيل آغا ، وجاء معها خالد بن سعود مؤيداً ومتعاوناً ، وقيل ان محمد علي اراد من ارساله فرضه أميراً على نجد .

وواصلت الحملة سيرها من ينبع الى المدينة ثم الى الحناكية ، فدل ذلك على انها تقصد نجداً وانها ستبدأ بالقصيم .

وارسل الامام فيصل ، وكان يرقب سير الحملة ويتتبع اخبارها ، ويعرف كل ما يجب ان يعرف من امرها ، فبدأ يستشير الزعماء والقادة وامراء البلاد وعلمائها ، وابلغهم نبأ وصول الحملة وسألهم رأيهم في الخطة التي يجب السير عليها ، فاقترح عبدالله بن علي بن رشيد أمير شمر والجبل ، استنفار الناس والسير الى القصيم والمرابطة هناك قبل وصولها ، وانضمام ابناء هذه المقاطعة اليها وتعاونهم معها ، فأعجب بالرأي وارسل فاستنفر الناس ، ثم غادر الرياض في

---

١) بدأت هذه الحملة سيرها سنة ١٢٤٦ (١٨٣١) وانتهت سنة ١٨٤٠ (١٢٥٦) .

آخر شهر شوال سنة ١٢٥٢ وجاء فنزل بجوار مـــاء الصريف قرب التنومة (القصيم) .

ووصلت الحملة بعد قليل الى الرس ومعها خالد بن سعود يدعو الناس الى مناصرتها وتقديم الطاعة لها .

وانتقل الامام والذين معه الى عنيزة واستنفر ابناءها كما استنفر ابناء بريده ، ثم اتجه الى الخبرا على مقربة من الحملة وكان على اهبة كاملة .

وعقد اجتماعاً عاماً وهو هناك ، واستشار خاصته في الخطة التي يسير عليها ، وهل يشتبك مع الحملة في معركة فاصلة، ام يؤجل ذلك الى فرصة اكثر ملاءمة، فأشاروا عليه بالانتقال الى عنيزة او بريدة ، فأخذ برأيهم وسار بالنـاس الى الاولى فبلغها يوم ٢٥ ذي الحجة وفيهـا استشار خاصته في الرحيل او المقـام ، فأشاروا بالرحيل فاتجه الى الرياض .

ولاحظ الامام بعد وصوله الى العاصمة من بعض رجالاتها مـا رابه ، وشم رائحة الميل الى الاستسلام والقعود عن المقاومة ، فأصدر الى جماعته الذين ظلوا على الولاء له ، تعليمات تقضي عليهم بالجلاء سراً عن الرياض ، وان يأخذوا معهم كل ما يستطيعون اخذه . امــا هو فغادر القصر على خيله مسرعاً وسار حتى الخرج ، جنوبي الرياض ، ومنهـا ذهب الى الحسا ، وتفصل بينها وبين الرياض « الصمان » ولا تقل المسافة بينهما عن ٥٠٠ كم ، فأقبل عليه اميرهـا وعلماؤهـا وقادتها وبايعوه على النصر ونزل في قصر الامارة (قصر الكوت) .

خطة معقولة سديدة

ولئن رأى بعضهم في كثرة استشارات الامام وانتقاله بجيوشه من مكان الى مكان ، ثم سيره الى الحسا حيث يكون في مأمن وراء صحراء الصمان ، فان الذي نراه ونميل الى الأخذ بـه ، هو ان الامـام ، وقد كان الموقف حرجاً

ودقيقاً ، وجراحات البلاد لم تندمل ، والدماء لا تزال تسيل منها ، ألا يعرضها لحرب جديدة قد تكون اقسى وأشد هولاً من الاولى ، خصوصاً بعد ما جربت نجد الجيش المصري ، وعرفت ما يحمله ضباطه وجنوده من روح قاسية، فجنح الى هذه الخطة ، خطة التروي والاعتدال ومحاولة الابتعاد عن الاخطار بقدر الامكان مع الاحتفاظ بالشرف القومي وعدم تلويثه . يؤيد ذلك عودته الى الميدان ، حينما جاءته اخبار انتصارات قومه الذين هزموا الحملة وتغلبوا عليها .

فقد جاءته الاخبار وهو في الحسا ، ان اهل مدن الحلوة والحوطة والحريق من مدن العارض ، ابوا الخضوع للحملة المصرية بعد وصولها الى الرياض ودخولها لها يوم ٧ صفر سنة ١٢٥٣ ، واتفقوا على منازلتها ، فخرجت للقتال فهزموها وغنموا معداتها ،

الامام في الميدان

وغادر الامام ورجاله الحسا على أثر هذا الانتصار ، وجاء الى « الخرج » (جنوبي الرياض) ثم اتجه اليها ، ولما وصل الى «المصانع» وهي في الطريق ، خرج اليه خالد بن سعود وبعض اهلها مع بقايا الحامية المصرية ، فدارت معركة انتهت بهزيمة هؤلاء ، فأرادوا الرجوع الى الرياض فوجدوا الطريق مغلقاً ، فقصدوا المنفوحة ، فلحق بهم وحاصرهم ، فطلبوا الامان لهم ولأهل منفوحة فنالوه .

ثم قصد الى الرياض فحاصرها ، فقاومته ، واستمر الحصار مدة شهرين ونصف ، ثم حمل عليها يريد انجاز امرها ، واستعان بالسلالم ، فاستعصت ، فارتحل الى منفوحة . ودارت مراسلات بينه وبين خالد بن سعود للاتفاق على الصلح ، ثم اجتمعا في مكان اتفقا عليه ، فلم يتوصلا الى شيء لأن الامام أصرّ على استقلال نجد ، وقال انها لا تقبل سيادة مصر ولا تريد ان تكون تبعاً لها ، وهو ما كان خالد ينادي به .

حملة مصرية ثانية

ووصل في تلك البرهة اللواء خورشيد باشا على رأس حملة عسكرية ثانية الى ينبع ، وأرسل الى الامـــام هدايا مع دعوة الى الاستسلام ، فانتدب أخاه اجلوي، فقابله في المدينة وقدم له هدايا حملها من أخيه، وأقام الى جانبه ورافقه حتى عنيزة ، ثم استأذنه طالبـاً السماح له بالذهـاب الى «بريدة» لبعض شؤونه ، فأذن له، فقصد الخرج حيث كان أخاه ، فأبلغه ان القوم يأتمرون به ويستعدون لقتاله .

وقاد خورشيد حملته الى الدلم لمنازلة الامام ، فدارت معركة استمرت أياماً بذل كل منهما جهده للفوز فيها ، وكانت الغلبة في النهاية للمصريين لأنهم أكثر سلاحاً ومعدات .

ورأى الامام بعد كل ما جرى ، وكانت النجدات ترد تباعاً الى اعدائه من جميع الجهات ، انه لا فائدة ترجى من مواصلة القتال ، وان السلام افضل ، فأوفد مندوباً الى خورشيد طالبـاً الصلح ، فرحب به وقال انه مستعد لقبول جميع طلباته ، بشرط ان يسافر الى مصر ويقيم فيها الى جانب اهله .

ووقع على الاتفاق يوم ١٣ رمضان سنة ١٢٥٤ ، فسكنت ريح الحرب ، وفدى فيصل البلاد بنفسه ووقاها شر الخراب والدمار وإراقة الدماء ، فضرب بعمله وتضحيته احسن الامثال على العقل والسداد .

وهكذا انتهى الدور الأول من عهده ، على ان غيابه لم يطل ، فما أسرع ما جلا المصريون عن البلاد ، وما أسرع ما عاد اليها ، فرحبت به أصدق ترحيب .

اتفاق الجلاء عن جزيرة العرب

وضع محمد علي يده على الاقطار الاربعة التي استولى عليها في جزيرة العرب وهي : الحجاز ، ونجد ، وعسير ، وتهامة ، وحكمها حكماً مباشراً بواسطة ضباطه ، ولم يعدها الى السلطان وقد فتحها باسمه ولحسابه ، وكان يتعاون في ادارتها بالدرجة الاولى مع خصوم آل سعود .

وشجعته نتائج حملته الى بلاد العرب ، فانطلق يعتدي على جيرانه وكان السودان في المقدمة ، فأرسل اليه في سنة ١٨١٩ اي في السنة التالية لانتهاء الاعمال العسكرية في نجد ، حملة عسكرية للاستيلاء عليه وضمه إلى حكومته ، غير مقيم وزناً لحكومة الاستانة صاحبة السيادة عليه ، وما كان يوليها شيئاً من الحرمة لما يعرفه من ضعفها ، ولما يشعر بنفسه من القوة .

وقيل في تعليل اسباب هذه الحملة ، انه عرف بأن في السودان مناجم من الذهب ، فأراد أن يفوز بها . أما الاسباب الرسمية التي أعلنها ، فهي وجود فريق من المماليك لجأوا اليه ، فأراد القبض عليهم .

وقاد الحملة الى السودان نجله احمد طوسون ، وهو الذي قاد الحملة الاولى الى بلاد العرب ، ولئن عاد منها سالماً فقد خسر حياته في الثانية ، فأحرقته قبيلة الجعليين وهو حي . على ان الحملة ادركت غرضها فضمت السودان الى بلادها.

واستنجد به السلطان ، طالباً منه ارسال جيشه واسطوله الى اليونان لاخماد ثورة الشعب اليوناني الذي نهض يطلب الحرية والاستقلال ، فأرسلها وخاض معارك عنيفة مع الشعب اليوناني كلفته الكثير كما قلنا آنفاً .

وأغرته هذه الانتصارات وقد كونت له دولة متسعة الحدود ، كثيرة السكان ، غزيرة الموارد ، وضمنت له السيطرة على اقطار ما كان يحلم بالوصول اليها ، فراح يمد ببصره نحو الشمال نحو بلاد الشام يريد ان يضمها اليه ، مستغلاً فرصة ضعف الدولة العثمانية التي هدت قواها الحروب المتتابعة والفتن المتواصلة ، فأفقرت خزينتها ، وزادت في ارتباكاتها .

واغتنم فرصة خلاف موضعي بسيط نشأ بينه وبين عبد الله باشا محافظ عكا (سنة ١٢٤٦) وكانت قاعدة فلسطين الادارية والعسكرية ، فأرسل حملة بقيادة ابراهيم باشا ، فاكتسحت قطر الشام من جنوبه الى شماله ، خلال فترة قصيرة ودون مقاومة تذكر بسبب انضمام ابناء الشام اليه ، فقد استمالهم بشعاراته ومناداته انه جاء يعمل لتأسيس امبراطورية عربية كبرى ، فأقبلوا عليه وايدوه ، رغبة بالخلاص من الحكم التركي وكانوا له كارهين ، وبالخلاص منه طامعين .

ولم تقف الحملة المصرية عند حدود بلاد الشام الشمالية ، اي عند جبال طوروس الجنوبية ، بل اقتحمتها واوغلت في الاناضول وواصلت التقدم حتى « كوتاهية » مهددة العاصمة نفسها (الاستانة) ، فوقفت عندها ، بسبب وساطات دولية بذلت ، ولولا ذلك لما كان هنالك ما يمنعها من دخولها وهي لا تبعد عنها اكثر من ٢٠٠ كم جنوباً .

وزلزل وصول الحملة الى قلب الاناضول الجنوبي ، وتهديدها العاصمة ،

الدولة وهزهـــا هزة عنيفة حتى خيف من انهيارها ، وحلول محمد علي في قصر « ضولمه بغجه » محل السلطان محمود الثاني .

وحسبت دول اوروبا الكبرى حسابهـا ، وكان الاستعمار في ابتداء عهده ومطلع شبابه ، فاعتقدت ان سيطرة مصر على السلطنة وضمها الى بلادها يزيدها قوة ويحول بينها وبين الاستيلاء على الاقطار التي تطمع بالاستيلاء عليهـــا من ممتلكات السلطنة .

ودارت مكاتبات بين حكومات انكلترا ، وروسيا ، والنمسا ، وبروسيا ، وكانت تؤلف الدول الكبرى في ذلك العصر .

فتم الاتفـاق بينها على عقد مؤتمر دولي لمعالجة المشكلة ، وعقد في لندن في شهر حزيران (يونيو) سنة ١٨٤٠ واشتركت فيه حكومة الاستانة نفسها ، فكان اول مؤتمر دولي يعقد لمعالجة قضايا الشرق العربي ، كما كانت المرة الاولى تتدخل فيها دول اوروبا بشؤون هذا الشرق في العصر الحديث [1] .

ولقد كانت للمؤتمر غايات محدودة ، واغراض مرسومة تدور ضمن الاطـار الآتي :

١ ــ الابقاء على الدولة العثمانية حية سليمة .
٢ ــ حرمان محمد علي من انتصاراته .
٣ ــ اعادة الاراضي والاقطار التي استولى عليها الى الدولة صاحبتها الاصلية .
٤ ــ اعادة مصر نفسها الى السيادة العثمانية .

وأفرغ المؤتمر هذه المطـالب بشكل قرار اثبتناه بنصه لمـــا له من الاهمية التاريخية .

« المادة الاولى ــ اتفق السلطان مع ملكة بريطانيـا ، وامبراطور النمسا والمجر وبوهيميـــا ، وملك بروسيا ، وقيصر روسيا ، على شروط التسوية التي

١) لم تشترك فرنسا في هذا المؤتمر لأنها كانت تؤيد محمد علي .

تريد الدول ان تمنح لمصر ، وهي مثبتة في الفصل الملحق بهذه المعاهدة .

ويتعهد اصحاب الجلالة ان يعملوا متحدين وبأن يوحدوا مجهوداتهم لاكراه مصر على ان تتبع هذه التسوية ، ويتعهد كل فريق بأن يساعد على بلوغ هذا الغرض ، تبعاً للوسائل التي يستطيع استخدامها في هذا السبيل .

المادة الثانية – اذا رفضت مصر التسليم بهذه التسوية التي تبلغ اليها من لدن السلطان بمعاونة اصحاب الجلالة ، فان هؤلاء يتعهدون بأن يتخذوا بناءاً على طلب السلطان ، الوسائل المتفق عليها بينهم حتى يتم تنفيذ التسوية . وقبل ذلك يدعو السلطان حلفاءه لمعاونته على قطع المواصلات البحرية بين مصر وسورية والى ارسال السلاح ومعدات الحرب من كل نوع .

ويتعهد اصحاب الجلالة بأن يصدروا اوامرهم اللازمة الى قوادهم البحرية في البحر المتوسط ويعدونها فوق ما تقدم ، بأن يقدم قواد اساطيلهم طبقاً للوسائط المتوفرة لديهم ، كل تأييد ومعاونة في امكانهم ، وذلك لرعايا السلطان الذين يعربون عن اخلاصهم » .

وهذا هو الملحق الذي اشير اليه في المادة الاولى :

« المادة الاولى – يعد السلطان بأن يمنح محمد علي وسلالته المباشرة من بعده ادارة «باشاوية» اي مقاطعة مصر ، ويعد بأن يمنحه مدة حياته باشاوية « عكاء » مقاطعة فلسطين ، مع قيادة قلعة عكاء وادارة الجزء الثاني من سورية (جنوبي لبنان) الذي يحدد فيما بعد ، على شرط ان يقبل هذه المنح بعد تبليغه اياها في الاسكندرية على يد مندوب من جانب السلطان .

وعليه بأن يسلم الى هذا المندوب التعليمات اللازمة لقواد البر والبحر لينسحبوا من بلاد العرب ، ومن المدن المقدسة ، ومن جزيرة كريت ، ومن الاجزاء الاخرى من املاك السلطنة الخارجة عن حدود مصر وحدود باشاوية عكاء كما عيناها .

المادة الثانية – اذا لم يقبل هذه التسوية في مدة عشرة ايام يسحب السلطان ادارة باشاوية عكاء على ان يظل راضياً بمنح محمد علي وسلالته المباشرة حكم مصر بالتوارث ، بشرط ان يقبل هذه المنحة في مدى عشرة ايام تالية للعشرة الاولى اي في مدة ٢٠ يوماً تبتدىء من اليوم الاول الذي يتلقى فيه البلاغ ، وعلى شرط ان يسلم لمندب السلطان الاوامر اللازمة لقواد بريته وبحريته بأن ينسحبوا حالاً » .

وبلغ الاسكندرية يوم ١٤ آب (اغسطس) سنة ١٨٤٠ رفعة بك مندوب السلطان ، وزار ، ومعه قناصل الدول الاربع ، محمد علي وابلغه المعاهدة ، فأجاب ان ما اخذه بالسيف لا يعيده الا بالسيف ، فأمهلوه عشرة ايام فطلب اليهم أن يكون البلاغ تحريرياً ففعلوا ، وقالوا له ان فرنسا عاجزة عن مساعدته ، وان الدول مصممة على تنفيذ قرارها ، ولو ادى ذلك الى حرب اوروبية .

وجاء مندوب السلطان ومعه القناصل بعد انقضاء الايام العشرة الاولى لاخذ الجواب، فكان الرفض فقالوا له انه لا حق له بعد الآن إلا بولاية مصر، ثم امهلوه العشرة الايام الثانية .

ودعا محمد علي ، عقب هذه المقابلة ، رفعة بك المندوب التركي واقترح عليه ان يحل الخلاف بينه وبين السلطان مباشرة على ان تكون له ولورثته بعده مع حكم سورية مدة حياته ، ورفض السلطان والدول المتحالفة العرض واتفقوا على حرمانه من ولاية مصر .

ووصل اسطول بريطاني يتألف من ٨ بوارج يوم ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٨٤٠ الى عرض الاسكندرية وارسل قائده الاميرال نابير انذاراً الى الحكومة المصرية بوجوب التسليم ، فدارت مباحثات وتقرر بعد اخذ ورد استمر خمسة ايام ، ان يستسلم محمد علي للحلفاء ويجلوا عن جميع اراضي السلطنة ، ما عدا مصر فانها تبقى في عهدته ، وان يبقى هذا الحق مكفولاً

من الدول .

واصدر السلطان يوم ١٣ فبراير (شباط) سنة ١٨٤١ مرسوماً باسناد باشاوية مصر اليه ، وتم الجلاء المطلوب .

وهكذا انتهى حكم محمد علي لجزيرة العرب ، فقد كانت من جملة الاقطار التي شملها ذلك القرار، فجلت عنها جيوشه سنة ١٢٥٦ بعد احتلال أساء اليها وحمل اليها النكبات والبلايا والامراض .

عودة الامام فيصل الى نجد

والآن وقد انتهى كل شيء ، وتقلص الحكم المصري عن بلاد العرب كلها ، لا عن نجد وحدها ، فقد صار في امكان الامـام فيصل ان يعود الى قومه والى عرشه بعد ان زال المانع ، وتحررت البلاد من أسوأ حكم فرض عليها .

ويقول ابن بشر في تاريخه ، ان الامام فيصل وصل الى نجد في اوائل سنة ١٢٥٩ ومعه اخوه جلوي ، وابن عمه عبد الله ، وابنـه ابراهيم ، وانهم نزلوا مدينة حايل في الشمال فاستقبلهم اميرها عبد الله بن علي بن رشيد بالحفاوة، وقدم له الرجال والمـــال ، وارسل الرسل الى رؤساء البلاد وامرائها مبشراً بوصول الامام وصحبه ، وكان اهل عنيزة اول من استجاب فـأرسل عبد الله بن سليمان بن زامل رئيسها رسولاً الى الامام يدعوه لزيارته .

وكان في الرياض يومئذ عبد الله بن ثنيان يتولى امرها ـ اقامه المصريون حين جلائهم ، فلما علم بوصول الامام خرج مع انصاره الى بريدة يريد المقاومة ، فلما تبين عجزه عاد الى الرياض لـكي يعد معدات الكفاح.

تايد شعبي كبير

وواصل الامام العمل واتصل برؤساء البلاد ، فأقبلوا عليه وجددوا له البيعة فغادر عنيزه الى الوشم فبايعه اهلها ، فجاء الى حريملا واقام فيها اياماً والوفود تصل اليه تباعاً تحمل البيعة والطاعة . وارسل منها الى ابن ثنيان يدعوه الى المصالحة وحقن الدماء ضمن الشروط الآتية :

١ – يغادر الرياض مع انصاره وامواله ويقيم في اي مكان شاء وأراد .
٢ – يكون له من الخراج سنوياً ما يكفيه .
ورفض العرض وأصر على المقاومة .

وجاء الامام الى سدوس ثم الى منفوحة حيث أخذ يوالي الاتصال سراً بانصاره في داخل الرياض ويتفق معهم على طريقة العمل لانقاذها .

وقاد جلوي قوة اقتحمت الرياض ليلاً طبقاً للاتفاق المعقود مع رؤسائها واستولت عليها دون مقاومة وتحصن ابن ثنيان بالقصر .

وجاء الامام ودخل الرياض دون مقاومة .

وارسل ابن ثنيان ، بعد حصار استمر ٢٠ يوماً يطلب الصلح فارسلوا اليه عبيد بن الرشيد للمفاوضة فلم يتفقا ، وبشاء القدر ان يخرج متخفياً من القصر ليلاً فعرفه احد رجال فيصل ، فأمسكه وجاء به اليه ، فأخذ سلاحه وسجنه ، وعفا عن الرجال الذين كانوا معه وتسلم القصر ، وشرع يجدد بنيان الدولة .

العودة الى الخليج

وغزا فيصل ، بعد ان استتب له الأمر ، القطيف وأعاد آل مرة الى حظيرة الطاعة . ثم انتقل الى الدمام وكان هنالك رؤساء البحرين (عبدالله بن خليفة واولاده) فحاصرهم ١٢ يوماً ، فطلبوا المصالحة فأبى إلا ان يستلموا بدون

قيد ولا شرط ، فاستسلموا فأطلق سراحهم بعد ما اخذ اموالهم واقام حامية رابطت في قصر الدمام .

وسار بعد ذلك الى الحسا واستقبل فيها رؤساء عمـــان وارسل اليها سرية بقيادة المطيري وقاضياً هو ناصر بن علي العريني .

واستقرت الامور في داخل نجد ، وعادت للدولة هيبتها والبلاد أمنها .

ولحق الامـــام بربه يوم ٢١ رجب سنة ١٢٨٢ راضياً مرضياً بعد حياة حافلة قضاها بالكفاح والنضال ، وبعد أن أعاد لنجد وحدتها ، وللدولة هيبتها ، والبلاد استقرارها .

منشور الامام فيصل

ونختم هذا الفصل باثبات المنشور الذي اذاعه على اهل نجد بعد بيعته يدعوهم فيه الى طاعة الله واتباع اوامر الدين ، ويحدد سياسته وهو :

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركي الى من يراه من المسلمين سلمهم الله تعالى :

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . اما بعد فموجب الخط ابلاغكم السلام لا زلتم في خير وعافية . والذي اوصيكم به تقوى الله تعالى في الغيب والشهادة ، والعمل بما يرضيه وتجنب معاصيه ، والمعاداة والموالاة فيه قال تعالى « تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب » وأهم الامور تعلم مـــا فرضه الله تعالى من معرفة اصل دين الاسلام واركانه وواجباته وجميع شرائعه ومعرفة ذلك بالكتاب والسنة وقوام ذلك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . لا بد في كل ناحية من طائفة متصدين لهذا الامر كما قـــال الله تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » . وقال تعالى « ولتكن منكم امة يدعون

الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون » .

وانا ملزم كل من يخاف الله تعالى ويرغب في الفلاح ان يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر وان يكون الآمر مراعياً للشروط في ذلك بأن يكون عليماً فيما ينهى عنه حليماً فيما يأمر به ، حليماً فيما ينهى عنه . رفيقاً فيما يأمر به ، رفيقاً فيما ينهى عنه .

وألزم كل امير ان يكون عوناً لهم وهم خاصته في الحقيقة ، عون له على ما حمّله الله تعالى من الامانة .

وليكن لديكم معلوماً ان دافع الجوائز عن المسلمين الحاضر والظاهر اذا كانوا معروفين باداء الزكاة من أموالهم الظاهرة والباطنة فهي راجعة اليهم على الوجه المشروع ان شاء الله تعالى . والمطلوب منكم الاستقامة على هذا الدين والاجماع عليه . وقد رأيتم ما في الجماعة من المصالح العامة والخاصة ، وما في التفرق من الشر في امر الدين والدنيا ، وأسال الله ان يمن علينا وعليكم بالقبول والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.»

بين الامام فيصل والانكليز

يقول «لوريمر» الانكليزي ، مؤرخ الخليج ان الامام فيصل تراسل عام ١٤٧١ (١٨٥٥) مع المعتمد البريطاني في الخليج ، وأن الامام أشار في رسالته بارتياح الى «التفاهم الذي دام بيننا وبين الحكومة البريطانية بشأن سلامة التجار والمسافرين المارين بالبحر».

الحرب مع مسقط

وأوردت التقارير السرية لحكومة الهند ، الاخبار الآتية :

في سنة ١٨٥٢ ، نشبت الحرب بين نجد ومسقط ، وانتهت في آخر سنة ١٨٥٣ بعقد اتفاق هذه قواعده :

١ - تدفع مسقط للدولة السعودية اتاوة سنوية قدرها ١٢ الف ريال ، وتدفع صحار ثمانية آلاف ريال .

٢ - تدفع مسقط ٦٠ الف ريال اتاوة متأخرة .

٣ - تقدم بعض المؤن والذخائر .

٤ – تظل الحدود بينهما كما كانت[1] .

اول خلاف بين حكومة الامام والانكليز

وأوردت وثائق حكومة الهند النبأ الآتي :

« في شهر اغسطس سنة ١٨٦٥ ، استولت قبيلتا ابو علي والجنبه على مدينة «صور» جنوبي شرقي مسقط، وألحقتا اضراراً بالرعايا الهنود والانكليز ، فأرسل المقيم البريطاني احتجاجاً باسم حكومته الى الامام فيصل والى نائبه في البريمي (أحمد السديري).

وخولت الحكومة البريطانية معتمدها بأن يتخذ مع الضابط البحري الاعلى ، ما يريانه لازماً من التدابير بغية التوصل الى ايجاد تسوية بين الامام وسلطان مسقط . بيد انها لم تصرح له ان يتخذ أي اجراء عسكري .

وفشلت المحاولات التي بذلت للتوفيق ، فأرسل قائد الاسطول البريطاني يوم ٦ يناير سنة ١٨٦٦ انذاراً الى الامام عبدالله (حل محل والده الامام فيصل الذي توفي يومئذ) ، يطلب منه ان يقدم اعتذاراً خطياً خلال شهر واحد عن حادث صور المذكور . ولما انقضى الموعد ولم يصل الاعتذار ، دمر الاسطول

١) أورد مؤلف كتاب «عقود الجمان» هذا النبأ على الوجه الآتي :

« كانت قضية العلاقات مع مسقط ، احدى القضايا الرئيسية التي جابهت عبدالله بن فيصل حينما وفد الى البريمي نائباً لوالده، وقد ذكرت عدة أمثلة عن استعداد سعيد بن سلطان وابنه ثويني لمهاجمة النجديين كلما وجدا فرصة مناسبة لذلك . وكان هناك موضوع العقوبة التي يجب ان تنال ثويني جزاء غدره الفظ برئيس صحار عندما رفض الانضمام الى الاعمال العدوانية ضد البريمي . وكان في استطاعة عبدالله أن يطالب ويحصل على أية شروط ، ولكنه اكتفى باتفاقية خالية من الشدة بشكل واضح ، فعقدت معاهدة هجوم ودفاع بين الدولة السعودية ومسقط ، قضت بأن تدفع مسقط اتاوة سنوية مقدارها ١٢ الف ريال ، بالاضافة الى مبالغ متأخرة مقدارها ستون الف ريال .

«وتنص على التزود العادي بالمؤن والامدادات» وتعاهد الرئيس السعودي كما جاء في مختارات «بمباي» مقابل هذا ، أن يساعد ثويني في ساعات الشدة . وبقيت الحدود كما كانت عليه سابقاً » .

البريطاني في الخليج أبراج صور والسفن النجدية في مينائها (فبراير سنة ١٨٦٦)، وأنزل عقوبة شديدة بالقبائل الموالية لنجد ، وخرب مراكز النجديين في الدمام » .

وتلقى المعتمد البريطاني في أواخر شهر فبراير ، رسالة من الامام عبدالله مؤرخة في ٢٨ يناير سنة ١٨٦٦ ، حملها مندوب وصل الى «بندر بو شهر» في ٢١ ابريل سنة ١٨٦٦ ، وهناك أفضى بالتصريح الآتي الى الكولونيل بلي :

« أنا محمد بن عبدالله بن مانع ، واثق من النقط الآتية :

١ - انني مخول من الامام عبدالله بن فيصل ، ان اطلب من الصاحب المقيم في الخليج الفارسي ، ان يصبح وسيط صداقة بين الامام عبدالله بن فيصل وبين الحكومة البريطانية .

٢ - وانني أؤكد للمقيم في الخليج الفارسي ، نيابة عن الامام عبدالله بن فيصل ، بأن الامام لن يعارض أو يؤذي الرعايا البريطانيين المقيمين في الاراضي الواقعة تحت سلطته .

٣ - وأؤكد للمقيم في الخليج الفارسي ، نيابة عن الامام عبدالله بن فيصل ان الامام لن يتلف او يهاجم اراضي القبائل العربية المتحالفة مع الحكومة البريطانية ، لا سيما بملكة مسقط ، بخلاف تلقي الزكاة التي هي عادة منذ القدم.

« كتبت هذا بيدي في «بوشهر» يوم السبت الخامس من ذي الحجة سنة ١٢٨٠ (٢١ ابريل سنة ١٨٦٦) [1] » .

١) حاول الانكليز أثناء المناقشات التي دارت بينهم وبين السعوديين حول مشكلة «البريمي»، أن يستندوا الى هذا التصريح ، فأجاب المندوب السعودي انهم لم يعثروا على أساس له في محفوظات الحكومة السعودية .

جواب حكومة الهند الى الامام

ثم قالت التقارير السرية لحكومة الهند :

وقبلت حكومة الهند هذا التصريح واكتفت به ، وارتاحت اليه . وأرسل المعتمد الى الامام عبدالله كتاباً ، هذا ما جاء فيه :

« تلقيت كتاب سموكم الودي من يد خادمكم الأمين محمد بن عبدالله بن مانع وحاشيته .

لقد صرحتم بأنكم ترغبون في السلام ، وسلمني مندوبكم ورقة ، أبعث طيه بنسخة منها ، بعد موافقة حكومة جلالتها عليها .

واذا حدث ونشأت صعوبات فيما بعد ، حول ما تدفعه مسقط من الزكاة لكم ، فان الحكومة البريطانية ، لا تريد ان تتدخل في الامر ، وان تصبح كفيلاً في مسألة تهمكم انتم والسلطان ، ولكنها لا تمانع في استخدام وساطتها لوضع تفاصيل اتفاق بينكما . وقد أبلغني مندوبكم انه في حالة ما اذا نشأ مثل هذا الامر ، فانكم ستكتبون اليّ وتطلبون وساطتي .

إني آمل أن يصلكم كتابي هذا وأنتم بخير . واذا كانت لديكم أية صعوبة فارسلوا لي مندوباً أميناً ، وسأكون مسروراً دوماً لمقابلة مندوبيكم مقابلة ودية كما جرى مع محمد بن عبدالله بن مانع » .

اول معتمد بريطاني يزور الرياض

في سنة ١٨٦٣ (١٢٨٠) عينت الحكومة البريطانية اللفتننت كولونيل لويس بلي معتمداً لها في الخليج ، فجاء الى بندر « بوشهر » وأمضى فيها تسع سنوات حيث مثل كثيراً من الادوار السياسية على مسرح الاحداث هناك .

وتقول التقارير السرية لحكومة الهند انه حدثت بعض خلافات بين الموظفين السعوديين في الخليج وممثلي بريطانيا، فرأى «بلي» هذا ان يزور الرياض ويجتمع الى الامام فيصل ويتحدث اليه . ثم تقول ايضاً ان زيارته كانت خاصة وشخصية قام بها دون تفويض مسبق من حكومتي الهند ولندن يأذن له باجراء اي مفاوضات خلالها .

وكانت المرة الاولى يوغل فيها معتمد بريطاني داخل جزيرة العرب ويصل الى الرياض ، وقد بلغها في شهر شوال ١٢٨١ (مارس سنة ١٨٦٥) وذلك في أواخر عهد الامام فيصل، فقد توفي في شهر رجب من العام الثاني اي بعد سبعة اشهر من وصول المعتمد .

وقد أعد « بلي » تقريراً مطولاً عن هذه الزيارة طبعه ونشره وهو متداول معروف .

ويقول في تقريره هذا : « لقد كان هدفي من الزيارة في الدرجة الاولى اقامة علاقة صداقة مع الحاكم السعودي . فقد شعرت واثقاً بأنه اذا ما استطعت ان أعيد اقامة العلاقات مع حاكم كفيصل، فاننا نستطيع ان نتوقع فائدة من نفوذه على رؤساء الساحل دون ان نخشى ان هذا النفوذ سيبدل في اتجاه يتنافى والاتجاه التمدني » .

وقال الكولونيل للامام حين مغادرته الرياض : « واني لأرجو ان اغادر الرياض وانا على مودة واتفاق مع الشعب السعودي وان يكون هناك ما يبشر بايجاد علاقات اكثر وداً مع حكومة الهند ، واني لأرجو ان تسمح لي الفرصة للقيام بخدمة ودية وغير رسمية من اجل تسوية العلاقات بين الرياض ومسقط ».

واعد الكولونيل تقريراً عن زيارته وقال فيه، انه لم تدر اي مفاوضات مع الامام بشأن عقد أي معاهدة او التوصل الى تفاهم ما . وان الامام اعرب عند الوداع عن رغبته في ان ارجع اليه اذا ما وقعت حوادث قرصنة او اعمال تحطيم السفن او اغراقها في القطيف او العقير كي ينزل اشد العقاب بالمعتدي ،

كما طلب الي ان اهتم بصيانة الامن في الخليج . وقال ايضاً، ان هذه الزيارة ستفتح صفحة جديدة من العلاقات بيننا وبينه ، وانه اصدر تعليمات بذلك الى عماله في منطقة الساحل .

وجاء في التقرير ايضاً : « ان الامام قال لي في احاديثي معه ، ان القسم الشرقي من بلاد العرب من الكويت الى رأس الخيمة خاضع له . وإن ارض بلاد العرب هذه الممتدة من الكويت الى القطيف فرأس الخيمة ، فعمان فرأس الحد وما وراءها هي ارض منحني الله اياها » .

وقال الكولونيل ايضاً : « ولقد لاحظت ان الدولة السعودية تسيطر على الساحل الغربي للخليج وساحل عمان ، وكانت تتقاضى الزكاة نقداً او عيناً من شيوخ البحرين ، وأبو ظبي ، ودبي ، وام القيوين ، والعجمان ، والشارقة ، ورأس الخيمة . وتحتفظ بمركز عسكري امامي في البريمي الممتدة بين مشيخات اولئك الزعماء وبين سلطنة مسقط التي تدفع الزكاة للامير » .

هذا كل ما حفظته واوردته التقارير السرية لحكومة الهند عن هذه الزيارة وما دار فيها ، ولقد عثرنا في مصادر اخرى على معلومات اوسع وهي كما يأتي :

جاء في تقرير « بلي » ص ١٥٠ « ان جميع الاطراف اعترفت بان الامير فيصل بن سعود هو حاكم شديد عادل لم يسبق له مثيل في النجاح ، يكبح جماح قبائله ، كما يود ان يزرع بينهم عادات المتحضرين ، وان يوجه افكارهم نحو الزراعة والتجارة »

وجاء فيه ايضاً « ان بلي ابلغ الامام فيصل انه ليس للحكومة البريطانية اي غرض فيما يختص بقبائل جزيرة العرب ، سوى ان تراهم يعيشون في سلام ورخاء في حدود ديارهم وتحت سلطة حكامهم » .

وجاء فيه ايضاً (ص ٥١ – ٥٢) « وكان الامام دائم الحديث عن نفسه بصيغة الجمع ، واعتبر جزيرة العرب تقريباً مملكة له وقال : « ان ارض جزيرة العرب هذه من الكويت عبر القطيف ، ورأس الخيمة وعمان ، ورأس

الحمد وفيما وراءها هي منحة لنا من الله. ثم قال: «ان مسقط تؤدي لنا الاتاوة وقد استولينا عليها بقوة السلاح ، وكان سلطان مسقط سعيد المتوفي يفهم الامور ويقوم بما يجب ولكن .. ثويني كان يختلف عن ذلك ويجب قهره بالقوة».

وقال له الامام ايضاً : «لتكن جزيرة العرب مهما كانت فهي لنا . وقد تسأل كيف باستطاعتنا ان نظل هكذا منعزلين عن سائر العالم ، ومع هذا فنحن قانعون . اننا أمراء بطبيعتنا على قدرنا . اننا نشعر بأنفسنا ملوكاً في كل شيء . وقال ان خطته هي ان يضرب بشدة على أيدي رؤساء القبائل حين يقوم أتباعهم بالسلب والنهب ، أو يرتكبون جرائم اخرى» .

وفي نهاية الزيارة قال محبوب بن جوهر ، أحد افراد حاشية الامام (وليس كاتبه كما ظن بلي خطأ) ان الامام قد خوله سلطة عرض معاهدة تبادل تلزمه بمنع عرب عمان والخليج من ارتكاب اعمال السلب او الاضرار بمنشآتنا البرقية، فرفض العرض ولم يبحثه .

وفي ملحق لتقريره عن رحلته ، يورد قائمة باسماء القبائل الخاضعة للدولة السعودية ، وقيمة الزكاة التي تدفعها كل منها .

معاهدة صداقة ومودة

ويقول جلالة الملك عبد العزيز في المحادثة التي دارت يوم اول ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ بينه وبين السر أندرو ريان الوزير البريطاني المفوض في جده (الجلسة الثانية) ما يلي :

«اذا كانت الحكومة البريطانية تريد الحجة والبرهان ، فان لديها الحجج الواضحة ، فان الذي بيني وبينها هو ان ما كان آبائي وأجدادي في الخليج العربي يجتنبونه أنا اجتنبته ، وما كانوا يعملونه أنا أعمله ، فان كانت الحكومة البريطانية تريد هذا ، فأنا مستعد له .

«ثم انه سبق أن كان بين جدي فيصل وبين مندوب الحكومة البريطـانية وممثلها في الخليج الفارسي الكولونيل (بلي) ، معاهدة مدتهـا ٦٢ سنة ، لم تنته مدتها إلا قبل سنتين ، فلتخرجها الحكومة البريطانية من خزائنهـــا ، ولتعمل بموجبها وهي قبل اتفاقها المزعوم مع الحكومة التركية» .

(الوثيقة رقم ٧ من وثائق التحكيم في قضية البريمي)

اخبار أخرى عن الخليج

وأوردت التقارير السرية خبراً آخر عن الخليج ، وهو :

«وطدت تركيا مركزها في امارة قطر سنة ١٨٧١ ، وظلت تسيطر عليها حتى سنة ١٩٠١ ، ولم تعترف انكلترا لتركيا بهذه السيطرة ، وظلت المراسلات تدور بينهما سحابة هذه المدة» .

عهد الامام عبدالله بن فيصل

طبقاً للقاعدة المتبعة في البيت السعودي ، بويع عبدالله النجل البكر لفيصل بالامامة يوم وفاته (رجب سنة ١٢٨٢ ، يونيو سنة ١٨٦٥) فالتفت حوله الامة وأيدته .

ولقد كان الامام عبدالله اليد اليمنى لأبيه سحابة حكمه ، وكان ينتدبه للمهمات فينهض بها على اكمل وجه ، وقد تولى امر القسم الشرقي من المملكة فأداره واحسن ادارته ،

وكان للامام فيصل حين وفاته ثلاثة اولاد غير عبدالله وهم : سعود ، ومحمد ، وعبد الرحمن ، وكان الاول يتولى امارة الخرج والافلاج ، والثاني امارة الشمال ، والثالث يعمل مساعداً لاخيه الاكبر ، وقد تولى امارة الرياض في عهد والده .

وكان سعود ينفس على اخيه الاكبر فوزه بالحكم ويطمع في انتزاعه منه ويرى نفسه اكفأ منه لتقلده . وعرف ابوه ما يجول في خاطره ، فولاه امارة

الخرج والافلاج يرجو ان يخفف البعد من موجدته على اخيه، فما أفاد ذلك وما اجدى ، فانه ما كاد الوالد يطبق اجفانه حتى رفع راية الثورة والانتفاض ، فكان ذلك بدءُ الحرب الاهليــة التي استمرت نحو ٢٥ سنة فحرمت نجداً الاستقرار وألقتها في لجة الفوضى ، واضعفت هيبة الدولة وسلطانها ، فانتفض عليها الامراء ، وتسلط عليها آل الرشيد في حايل ، ووضعوا يدهم عليها في ظروف دقيقة وصعبة .

عوامل الخلاف وأسبابه

ويمكن اجمال هذه العوامل على المنوال الآتي :

١ ــ اشتداد الخلاف والجفاء بين سلائل تركي بن عبدالله بن محمد سعود الذين نهضوا بالحكم واحيوا الدولة بعد كارثة الدرعية ، وبين ابناء عمومتهم سلائل سعود بن محمد بن عبد العزيز بن محمد سعود ، فقد نهض هؤلاء يطالبون بالحكم باعتبار انه كان في بيتهم ، وأبى آل تركي الاعتراف لهم بأي حق من هذه الناحية ، وقالوا ان جدهم هو الذي جدد الدولة وبعثها من مرقدها ، وهم ورثته واهله .

٢ ــ اشتداد الخلاف بين أبناء فيصل انفسهم بعد وفاة والدهم وتقلدهم السلاح يقاتلون به بعضهم بعضاً .

٣ ــ اعلان امراء المقاطعات وشيوخ القبائل الانفصال والانتفاض ، مستغلين فرصة هذه الانقسامات بين الاسرة السعودية .

٤ ــ ضعف موارد الدولة المــالية بسبب الجفاف الذي استحكم في تلك السنوات ، وبسبب الفتن التي اشغلت الناس وازعجتهم .

٥ ــ نفور شعب نجد من هذه الفتن التي ذهبت بالكثيرين من ابنائه قتلاً وتشريداً ، وكلفته الكثير من الاموال ، وكان في اشد الحــاجة الى الهدوء لتضميد جراحات الاحداث الماضية التي لم تك قد اندملت تماماً .

تلك هي في نظرنا مجموع العوامل التي اضعفت الدولة وجعلت امامها يستنجد تارة بالترك ، واخرى بآل الرشيد مـــا لم يغن عنه شيئا في النهاية ، فضعفت الدولة ثم انهارت . ولكن هذا الدور لم يطل فقد بعثها وجدد شبابها شبل من اشبال آل تركي فسما بها الى قمة المجد والعلاء . .

كيف بدأت الحروب الاهلية

لم يبايع سعوداً اخـاه مع المبـايعين بل اتجه رأساً الى عسير ونزل على آل عـايض حكامها يطلب العون والمساعدة في محاربة اخيه زاعمـــاً انه اهـانه ولم يرع حقه .

وحاول الامام عبدالله ، وكان عاقلاً رزيناً ، ان يتفاهم مع اخيه وان يرضه ، فأوفد رسولاً الى عسير يحمل كتاباً رقيقـاً منه الى اخيه يناشده فيه الاخوة والمروءة ان يعود للرياض ، ويعده بأن ينيله كل ما يطلب ويريد .

وحمل الرسول كتاباً آخر الى ابن عايض من الامام يرجوه فيه ان يقنع اخاه بالرجوع اليه « فقد ابتعد عنه بدون اي سبب عاملاً على قطع الارحام » .

وأصرّ سعود على تنفيذ خطته ، وغادر عسير بعد ان نفض يده من مـساعدة آل عايض ، متجهاً الى نجران يستنصر صاحبها السيد ، وهو في الاصل عدو لبيته ويستصرخه لينصره ، فوعده بالنصرة ، وكذلك كان شأن شيوخ آل مرة ، فقد انضموا اليه ، فخرج على رأسهم يريد الرياض .

وأعد الامام ، وما كان غافلاً عما يدبر ، حملة قادها اخوه الآخر « محمداً » سارت حتى بلغت مكاناً اسمه «العتلا» وفيه دارت اول معركة في سلسلة الحروب الاهلية ، انتهت بهزيمـــة سعود والذين معه بعد ان اصيب بجروح في يديه ورجليه ، فلجأ الى آل مرة في المنطقة الشرقية واقام بينهم حتى برأ من جراحه ، فاتجه الى عمان واقام فيها نحو سنتين يواصل اعداد المعدات لاستئناف الكرة .

وارسل الامام في السنة التالية ١٢٨٤ اخاه محمداً الى الحسا على رأس حملة نكلت بالعجمان الذين ايدوا سعوداً . وقاد بالذات حملة اخرى الى وادي الدواسر للتنكيل بعربانه لأنهم ايدوه ايضاً . واستأنف الكرة في السنة التالية ، فذهب الى الحسا وقضى فيها نحو اربعة اشهر يرقب الحالة ، ثم عاد الى الرياض بعد ما اقام فيها قوة للدفاع عنها ، وترك مثلها في قطر للغاية ذاتها .

واتجه سعود بعد ما استرد صحته ، وبرأ من جراحه ، الى البحرين ينشد المعونة والمساعدة عند آل خليفة ، وانضم اليه وهو هناك محمد بن عبدالله بن ثنيان بن سعود من ابناء العمومة ، جاء اليه يشجعه ويؤيده ويسير الى جانبه .

وسار من البحرين على رأس القوة التي جمعها — الى قطر يريد احتلالها ، فقاومه انصار اخيه ، فعاد ثانية الى البحرين . ولكنه لم يطل الاقامة فيها بل ذهب الى الحسا بعد ما انضم اليه العجمان وآل مرة ومن وراء هؤلاء وهؤلاء آل خليفة في البحرين يبذلون لهم كل مساعدة .

وهاجم الهفوف (عاصمة الحسا) فاستعصت عليه فحاصرها . فجاء محمد على رأس قوة من الرياض لانقاذها ، فالتقى الفريقان على ماء اسمه «جوده» فدارت معركة انتهت بفوز سعود بسبب خيانة قبيلة سبيع ، واعتقل سعود اخاه محمداً وسجنه في القطيف .

امام عمان يستولي على البريمي

وشجعت هذه الانقسامات امام عمان «عزان بن قيس» وقد بويع بالامامة في تلك الفترة ، فجمع جموعه وسار في صيف سنة ١٢٨٦ الى البريمي فدخلها ، بيد انه لم يفلح في السيطرة على الواحة بأكملها .

ولم يستهن الامام عبدالله بضياع البريمي ، فزحف بقواه شتاء ١٢٨٦ (١٨٦٩ – ١٨٧٠) الى « الحسا » توطئة لمهـــاجمة « البريمي » إلا انه اضطر للتخلي عن فكرة الحملة بسبب الجفاف الذي يجعل سلوك جيش كبير في الصحراء مستحيلاً ، هذا فضلاً عن اهتمامه بحركات اخيه ، ولهذا السبب عاد الى الرياض مسرعاً.

الترك في الحسا

يظهر ان معركة «جوده» وقد انتهت بانتصار سعود على جيش اخيه محمداً ، كانت فاصلة ، فانه مـا كادت اخبارها تصل الى مسامع الامـام عبدالله ، حتى غـــادر الرياض مع خدمه وعبيده متجهاً الى الشمال حيث نزل على آل الرشيد في حايل .

واوفـد من مقره الجديد رسولاً الى العراق اسمه عبد العزيز ابا بطين حمله ثلاث رسائل :

الاولى : الى مدحة باشا والي بغداد .

الثانية : الى خليل بك والي البصرة .

الثالثة : الى السيد محمد الرفاعي نقيب اشراف البصرة .

وتدور الرسائل الثلاث حول محور واحد ، وهو الشكوى من اخيه وطلب مساعدة الحكومة التركية في حربه معه .

واستجاب له مدحة باشا والي بغداد وكان يعد من دهـاة الترك وعظمائهم في عصره ، وجـاء الى الكويت ليشرف على اعداد الحملة العسكرية التي قررت الحكومة العثمانية ارسالها بحراً الى الحسا ، تلبية لطلبه .

ووصلت الحملة ونزلت في المفوف واستولت على المقـــاطعة وطردت سعوداً منها ، وأنشأت حكماً عسكرياً تركياً لمصلحة الترك وحدهم .[1]

---

١) تقول الوثائق السرية لحكومة الهند (فقرة ١٥٥) ان نافذ باشا قائد الحملة التركية الى «الحسا» سلم وثيقة اعترف بها « بأن مقاطعة الحسا يجب ان تكون خاضعة لحكم عبدالله بن سعود وعائلته » .

وأورد السيد سيف الدين شملان صاحب كتاب « تاريخ الكويت » اخبار هذه الحملة (ص ١٢٥) من كتابه ، فقال : « ومر بالكويت في طريقه الى بغداد والبصرة ، عبد العزيز بن عبدالله ابا بطين يحمل رسائل وهدايا الى مدحة باشا والي بغداد ، وخليل بك والي البصرة ، يطلب مساعدة الدولة له في خلافه مع اخيه سعود ، فاهتم مدحة باشا للأمر وكتب الى الباب العالي يشرح له الحالة ويطلب الموافقة على ارسال حملة الى الحسا خوف تدخل الانكليز ، فجاء الجواب بالموافقة . فأرسل اليها باخرتين هما : لبنان ، والاسكندرية ، كما ارسل اليها ناقلات شط العرب وعليها خمس كتائب وبعض الفرسان وفرقة المدفعية ، بقيادة اللواء محمد نافذ باشا ، ورئيس اركان حربه البكباشي رجب بك .

ومشت الحملة من البصرة في شهر ربيع الاول سنة ١٢٨٨ (ايار « مايو » ١٨٧١) قاصدة رأس تنورة . وجاء مدحت باشا الى الكويت بالذات على ظهر سفينة حربية تركية اسمها « زحاف » . وقد اخذ جميع سفن الغوص الكويتية لمساعدة الحملة وعددها ٨٠ ، فحملت أمتعتها وعتادها .

وساعد الكويتيون الحملة فأرسلوا قوتين : بحرية بقيادة الشيخ عبدالله بن صباح الثاني امير الكويت ، واخرى برية قادها الشيخ مبارك اخوه ، ووصلت هذه الى القطيف دون مقاومة وتسلمت القلعة من السديري الخ ...

الامير عبد الرحمن بن فيصل يهاجم الترك

استنكرت نجد واستنكر اهلها ، وصول الترك الى مقاطعة « الحسا » واستيلائهم عليها وسعيهم لتوطيد اقدامهم في ربوعها ، وهم الذين كانوا يعملون للخلاص من الترك ومن كل اجنبي .

وبذل الامير عبد الرحمن بن فيصل جهوداً كثيرة لدى الترك لاقناعهم بالجلاء عن اقليم الحسا وتركه لاهله الذين يأبون الخضوع لهم ، ويحنون الى حكم آل سعود .

وقاد ، بعد ان يأس من التفاهم معهم ، ومن اقناعهم بالجلاء عن بلاد لا حق لهم بالبقاء فيها ، جيشاً ضخماً من عشائر آل مرة والعجمان وغيرهما من القبائل (اواخر عام ١٢٩١) وبدأ فهاجم القوة التركية التي كانت ترابط على ابواب مدينة «المفوف» (العاصمة) فأبادها وحاصر الحامية التي كانت في قصر خزام واحتله بعد ما فتك بها . وتحصن المتطوعون الكويتيون الذين كانوا في الجيش التركي في حصن الكوت فحاصرهم العجمان .

ووصلت الاخبار الى بغداد والبصرة، فانتدب الوالي ناصر بن راشد بن ناصر بن سعدون رئيس عرب المنتفك لقمع الحركة الجديدة بعد ما ولاه امارة «الحسا» و « القطيف » فسار اليها ، فاشتبك الفريقان في معركة شديدة انتهت بانتصار راشد ، فغادر عبد الرحمن المنطقة عائداً الى الرياض بعد ما ادى واجبه القومي على احسن وافضل وجه .

معركة البره

ووفد رؤساء قحطان على الامام وهو في الشمال يعلنون تأييده ، فاشتد ساعده وعاد الى الرياض (محرم سنة ١٢٨٨) وما كاد يستقر به المقام حتى جاءته الاخبار بأن اخاه غادر الحسا في طريقه الى الرياض ، فأرسل اسلحته وامتعته الى ديار قحطان على ان يلحق بها .

والتقى سعود برجال اخيه في مكان اسمه « الجزعة » فدارت معركة انتهت بفوزه وحصوله على كل ما لأخيه من اسلحة واموال ، فشجعه هذا النصر فأسرع الى الرياض فدخلها ونهبها، كما نهبت الجبيلية القريبه منها مع مدن اخرى في المقاطعة ، فكانت كارثة كبيرة تنزل بها وبابنائها بدون ذنب . ثم خرج بعد اسابيع على رأس حملة الى ديرة قحطان حيث ينزل اخوه. وعلم هو في «ثرمدا» بأن اخاه ارتحل الى « البره » فسار اليها بعد ما ارسل عمه عبدالله بن تركي الى شقرا ليقيم فيها بانتظاره . والتقي الفريقان وكانت الهزيمة للامام ورجاله .

وجاءت الاخبار للامام وهو في الرويضة بوصول الحملة التركية الى الحسا ، فسار اليها فرحب الترك به وقالوا له انهم حين احتلالهم القطيف افرجوا عن اخيه محمداً الذي كان مسجوناً فيها . على انه لم يطل الاقامة بينهم لانه خاف ان يغدروا به ، فدبر حيلة استطاع ان ينجو بواسطتها ، فقصد الرياض ومعه اخوه وولده .

الرياض تثور على سعود

اتجه سعود ، بعد معركة « البره » الى الرياض ، فاستقبلته بالسلاح ، وكانت حاقدة عليه لما أنزل بها ، وحاصرته في قصره ، وبعد حروب استمرت اياماً ، صالحته على ان يخرج والذين معه بالأمان ، فسار الى الدلم ومنها الى الحسا ، فالتف حوله جمهور كبير من العجمان وآل مرة ، فتقدم لقتال الترك فهزموه ، فلجأ الى بادية العجمان .

الامام في الرياض

وتسلم الحكم في الرياض عبدالله بن تركي ، عقب خروج سعود منها ، وظل يمارسه حتى قدم الامام عبدالله الى الحسا مع أخيه وولده ، فسلمه له .

وأرسل الامام حملة بقيادة اخيه محمداً الى الدلم لملاقاة سعود الذي جاءت الاخبار بأنه سار من بادية العجمان الى الرياض .

وانضم أهل الدلم الى سعود، وفتحوا له أبواب مدينتهم خوفاً عليها ، فأسرع بالرجوع. وهاجم سعود والذين معه «ضرمى» و «حريملا» ونهبوا كل ما وجدوه فيهما . ثم قصدوا الرياض ، فنازلهم عبدالله ومعه اهل الرياض ، فانتصروا عليهم فلجأ عبدالله الى عشيرة عتيبة .

وغادر سعود الرياض بعد ان بايعه أهلها ونزلوا على حكمه ، الى ديار عتيبة لاخضاعها ، وكان اخوه ينزلها ، فاشتبك معهم في معركة فهزموه، فتفرق جنده

وعاد الى الرياض وفيها توفي يوم ١٨ ذي الحجة سنة ١٢٩٠، فاعتقد الكثيرون ان الازمة انتهت بوفاته ، وان نار الفتنة قد خبت، وان السكينة ستعود ، ولكن سير الاحداث خيب ظنونهم .

وأرسل الامام عبدالله ، وكان ينزل في ديار عتيبة حينما جاءه نعي سعود ، أخـاه محمداً الى شقرا ومعه كتاب منه الى أهل الوشم يطلب تأييد اخيه والانضمام اليه .

وتسلم الحكم في الرياض ، عقب وفاة سعود ، شقيقه عبد الرحمن بالاتفاق مع أبناء هذا . وأعد حملة سار على رأسها مع أبناء سعود الى «ثرمداء» لملاقاة أخيه محمداً الذي وصل اليها ، فاشتبك الفريقان ثم تصالحا على ان يعود محمد الى المكان الذي جاء منه . واتجه عبد الرحمن بقواه الى الدوادمي لمنازلة عتيبة فهزموه ، فعاد الى الرياض ولكنه لم يطل الاقامة فيها ، بل غادرها الى بادية عتيبة لاحقاً بأخيه عبدالله بعد جفاء حدث بينه وبين أبناء أخيه الذين حاولوا التفرد بالحكم باعتبار انهم ورثة أبيهم . وذلك بعد ان قتل كبيرهم محمداً ابن عمه عبدالله بن عبدالله بن محمد بن سعود في مسجد الرياض .

واستقبل عبدالله أخاه بالحفاوة ، واغتنم فرصة الخلاف الجديد ، فجمع كل من استطاع جمعه من الانصار، وخرج يريد الرياض ليطرد أبناء أخيه ، وأسرع هؤلاء فجلوا عنها قبل وصوله . ورحبت به العاصمة وانضمت اليه .

انتفاض أمراء المقاطعات

أطمعت الحرب الأهلية المستمرة بين سادة البيت السعودي، أمراء المقاطعات وشجعتهم على العمل للانفصال والاستقلال بعدما ضعف شأن الدولة وضعفت هيبتها .

ودارت مكاتبات ، وجرت محادثات بين محمد بن عبدالله بن رشيد امير

«حايل» ، وحسن آل مهنا أبا الخيل امير مقاطعة «بريده» ، فتم الاتفاق بينهما على ان يستقل كل منهما في ديرته ، وأن يتعاونا في الدفاع عن هذا الاستقلال اذا هوجما .

وغادر عبدالله بن فيصل الرياض الى بريده لاخضاع اميرها حينما رفع هذا راية الانفصال ، وواصل السير حتى مدينة عنيزه جارة بريده . وقبل ان يستقر به المقام ، وصل الى عنيزه محمد بن رشيد للاشتراك في الدفاع عنها طبقاً للاتفاق المعقود . ولما بلغ ذلك عبدالله ، عاد الى الرياض لئلا يشتبك في معركة يصعب التكهن عن نتيجتها .

وشجع تراجعه هذا ، أمير بريده ، فتشمر لاخضاع البلاد المجاورة له وضمها الى امارته ، فأكثر من الغارات على مقاطعة الوشم وعلى عاصمتها « شقرا » يريد اخضاعها . كما غزا ، بالاتفاق مع ابن الرشيد ، بادية عتيبة .

وانضمت « المجمعة » الى المتحالفين ، فزاد ذلك في استحكام حلقات الفوضى التي عمت البلاد .

وسار الامام الى المجمعة يقود حملة لاخضاعها ، فطلبت النجدة من ابن الرشيد ، وكانت على اتفاق معه ، فجاء الى بريده على رأس قوة كبيرة فانضم اليه أميرها، وتقدم الاثنان الى الزلفى وأخذا يعدان معدات الهجوم على عبدالله وكان في المجمعة ، فغادرها عائداً الى الرياض لضعف قواه ، فجاء ابن الرشيد وتسلم الحكم وعين لها أميراً من ابناء حايل اتباعه .

ولم يطق محمد بن سعود صبراً على هذه الحالة ، وكان يعد نفسه الحاكم الشرعي لنجد ، فأعدّ حملة بالاتفاق مع عتيبة، وجاء لمنازلة المتحالفين ، فهزموه.

ثلاث قوى تتصارع في نجد

وانتهى القرن الهجري الثالث عشر ، ودخل القرن الرابع عشر ، وبدأت الحرب الاهلية في نجد تزداد اتقاداً ، ودائرة الخلافات والمشاحنات تزداد اتساعاً.

وكانت في داخل نجد ثلاث قوى تتصارع وتتقاتل للفوز بالحكم ، وهي :

١ – قوة عبدالله بن فيصل الامام الشرعي .

٢ – قوة أبناء اخيه سعود .

٣ – قوة محمد بن الرشيد أمير حايل الذي نزل الى الميدان يريد اخضاع نجد .

ورأى الامام عبدالله ، أن تفاهمه مع ابن الرشيد قد يحل المشكلة لأنه ألين عريكة وأقرب اليه من ابناء اخيه ، على أن يلتفت الى هؤلاء بعد ذلك ويصفي حسابه معهم .

ورأى ان يمهد لتنفيذ هذه السياسة التي رسمها ، بمعركة عسكرية يفوز فيها فترتفع اسهمه، ويسطع نجمه ، فغادر الرياض سنة ١٣٠١ يقود حملة الى المجمعة المجاورة له يريد اخضاعها بعد أن استعصت عليه في المرة الاولى . وما كاد يبدأ حصارها حتى وصلت قوى المتحالفين ، فنازلته وهزمته ، فارتد الى العاصمة .

وبسط ابن الرشيد نفوذه ، بعد هذه المعركة ، على الوشم وسدير ، وعين لهما الحكام ، وكاتب البلاد الاخرى طالباً منها الدخول في طاعته . على ان ذلك لم يمنع الامام عبدالله من الاتصال به طلباً للتفاهم والوفاق . وفي سبيل ذلك أوفد اليه أخاه محمداً مع كتاب ودي رقيق يدور في هذا الاطار ، فأكرمه ووعده وعداً معسولاً وأرسل معه هدية ثمينة ، ثم بادر فجلا عن مقاطعة الوشم اكراماً له وللتدليل على حسن نيته ، وكتب اليه واعداً بالمسالمة والتزام الهدوء.

ابن الرشيد في الرياض

وبينما كانت الامور تجري على هذا المنوال ، واصل محمد بن سعود اعداد القوى لمحاربة عمه والتغلب عليه ، فدارت بينهما عدة معارك انتهت سنة ١٣٠٦ بتغلبه على عمه ودخوله الرياض واعتقاله له والقائه في السجن .

وأرسل عبدالله ، ومعركة الرياض دائرة بينه وبين ابن اخيه، رسالة الى ابن الرشيد يستنجد به ويطلب اليه القدوم لنصرته ، فلبـاه وزحف الى الرياض على رأس قوة كبيرة ، فدخلها في السنة نفسها وهزم محمداً ، وأنقذ عبدالله وأخرجه من السجن .

ولم يطل الاقـامة في الرياض ، بل عاد الى حايل بعد مـا عهد الى الامام عبد الرحمن بن فيصل بالحكم ، وأقام الى جانبه مندوباً يمثله ، هو سالم السبهان مع قوة صغيرة تمثل السيادة الجديدة .

ولم يعش عبدالله طويـلاً بعد ذلك ، فلحق بربه يوم ٢٦ ربيـع الاول سنة ١٣٠٧ ، فطويت بموته صفحة قاتمة من تاريخ نجد الحديث .

بين الامام عبدالله والانـكليز

لم يقع أي اتصال او احتكاك بين الامام عبدالله والانـكليز في الخليج مدة ولايته ، سوى ذاك الذي وقع بسبب حادث «صور» الذي بدأ في عهد أبيه ، وتولى هو تسويته بايفاده خادمه محمد بن مانع الى « بندر بو شهر » حاملاً كتاباً منه اليه ، كما حمل رده إلى الامام .

واعتبرت تلك الحادثة منتهية على الاثر . ولم يحدث بعدها أي اتصال بسبب انهاك نجد في الحرب الاهلية . ولم تسجل التقارير السرية أي تبديل في أوضاع الخليـج خلال تلك المرحلة .

عهد الامام عبد الرحمن بن فيصل

في اواخر عام ١٢٩١ توفي سعود بن فيصل متأثراً من مرض اصيب به ، فنادت نجد بأخيه عبد الرحمن خليفة له ، غير ان مدة حكمه لم تتجاوز نصف عام ، اذ ظل يسعى حتى تم على يده في سنة ١٢٩٢ التوفيق بين اخيه الكبير عبد الله وبين ابناء اخيه سعود ، حرصاً على مصلحة الشعب والدولة ، فعاد عبد الله الى الحكم وقنع عبد الرحمن بمنصب المستشار الاول لأخيه . وقد ظل الى جانبه حتى وفاته (ذي الحجة ٣٠٧ ، نهاية يوليو سنة ١٨٩٠) فنودي به اماماً بالاجماع [١] وزعيماً للبيت السعودي لما امتاز به من الكفاءة والمقدرة وبعد النظر وحسن التقدير ، فوضع نصب عينيه اصلاح الحال ، ورتق ما فتقته الاحداث ، وتضميد الجروح الدامية ، وحشد لذلك جميع طاقاته وامكانياته وقواه .

١) جاء في الوثائق السرية لحكومة الهند ان الامام عبد الرحمن بويع بالامامة باجماع الشعب سنة ١٨٧٥ .

وحسب محمد بن رشيد ، أمير حايل ، وكانت قواه تحتل الرياض وله فيها «مندوب سام» حساب هذه الرسالة الجديدة التي جاء الامام يبشر بها ، ويسعى لتحقيقها ، وكان معروفاً بالعزم والاقدام ، فأدرك ان مصلحته الخاصة تقضي بالتخلص منه فلا يقف عقبة في سبيل تحقيق مطامعه ولا يسلبه ما وصل اليه وبذل الكثير لأجله ، فأسر الى مندوبه في الرياض (سالم السبهان) بخطة مدارها اغتيال الامام في حفلة التهنئة بالعيد ، للتخلص منه ومن نشاطه .

وجاء من اوحى للامام بتفاصيل الخطة ، ونبهه الى المؤامرة التي يفتلون خيوطها للايقاع به .

وحل يوم العيد وجاء سالم السبهان للتهنئة ، بعد ما اعد العدة لتنفيذ الخطة المرسومة ، فاستقبله الامام وأجلسه على يمينه . وبادر رجاله وكانوا على اتم استعداد ، فاعتقلوا السبهان وكبلوه بالحديد وانزلوه السجن بعد معركة صغيرة دارت داخل القصر .

واستقل الامام بالحكم والسلطان وانضمت اليه القصيم وبعض المقاطعات .

واعد محمد بن الرشيد حملة ، حينما جاءه النبأ ، وخرج على رأسها يريد الرياض، فاصطدم باهل القصيم الذين وقفوا في وجهه ، وحاولوا صده عن سبيله، فاسترضاهم بوعود بذلها لهم ، ومن جملتها خيرات المعزة وبوادي مطير ، فافسحوا له الطريق ، فبلغ الرياض وكانت على استعداد للقائه ، فحاصرها فاستعصت عليه، ولما طال المطال نهض رجاله يطالبون بفك الحصار والعودة بهم الى ديارهم ، والبدوي ملول ينفر بروحه وطبعه من المرابطة حول الحصون ، فانتدب رسولاً ارسله الى الامام يطلب الدخول في مفاوضات الصلح والاتفاق ، فاستجاب له وألف لمفاوضته وفداً هذه اسماء اعضائه :

١ – محمد بن فيصل (شقيقه) رئيساً .
٢ – عبد العزيز بن عبد الرحمن (نجله) (عضواً) .
٣ – الشيخ عبد الله بن الشيخ عبد اللطيف (عضواً) .

واجتمع الوفدان السعودي والرشيدي ، ودارت مفاوضات انتهت بالاتفاق على عقد الصلح ضمن الشروط الآتية :

١ ـ اطلاق سراح سالم السبهان .
٢ ـ تكون امارة العارض لعبد الرحمن بن فيصل .
٣ ـ يعود ابن رشيد الى حايل .

وكان ذلك في سنة ١٣٠٧ ، وهدأت الحالة في نجد .

بين ابن رشيد واهل القصيم

وزار وفد من اهل القصيم محمد بن رشيد مطالباً بتنفيذ الوعد الذي قطعه لهم حين مروره بأرضهم في طريقه الى الرياض ، فماطل وسوّف، فعاد الوفد الى قومه منادياً بأن صاحبهم ليس سوى مخادع ، وانه لا ينوي الوفـــاء بوعده ، فاتفقوا على مهاجمته واستيفـاء حقهم بالقوة ، وكاتبوا الامام عبد الرحمن فانضم اليهم وتعاقد معهم .

والتقى ابن رشيد واهل القصيم في مكان اسمه المليدي [١] ، ولما حمي القتال تظاهر بالانسحـاب فلحقوا به ، فخرج عليهم كمين أعده من رجـــاله فانهزموا وكسرت يد حسن المهنا امير عنيزه فلجأ الى بريده فطارده ابن رشيد واعتقله وظل في السجن حتى سنة ١٣٢٠ فمـات فيه . ووصل الامـام وجيشه معه الى الميدان ، ولكن بعد انتهاء المعركة وبعد ان كتب النصر لابن الرشيد فأعاد النظر في موقفه ، بعد ان ظهر بمـا ظهر به من التحالف مع اهل القصيم فأدرك ان مصلحته ، ومصلحة مدينه الرياض واهلهـا ، بل ومصلحة نجد معهـا صارت تقضي عليه بالابتعاد اتقـــاء لحرب جديدة قد لا ترضي نتائجها ، فاتجه الى الحسا ومعه عائلته وبعض خاصته ، ونزل على آل مرة (شرق نجد) .

---

١) دارت هذه المعركة يوم الجمعة ١٣ جمـــادى الثانية سنة ١٣٠٨ وتمت السيطرة لابن الرشيد على نجد في ختامها .

وولى ابن رشيد محمد بن فيصل امارة الرياض ولكن بدون سلطة ، ولما توفي بعد قليل لم يعين احداً مكانه من آل سعود ، واكتفى بتسمية احد اتباعه اميراً على العارض .

وارسل عاكف باشا متصرف الحسا ، وكانت بيد الترك ، مندوباً رحب بالامام، وطلب منه باسم الحكومة العثمانية ان يتعاون معها ضمن الشروط الآتية:

١ — يتولى امارة الرياض تحت سيادة الحكومة العثمانية ورعايتها .
٢ — يدفع لها مبلغاً من المال سنوياً بدل سيادة .
٣ — تقدم له السلاح وتحميه .

واعتذر عن القبول لأنه يأنف ان يعيش في ظل دولة يعتبرها اجنبية :

وغادر الحسا بعد قليل الى الكويت ، فأبى الشيخ محمد بن صباح وكان يحكم تحت الراية العثمانية ، السماح له بالنزول فيها ، فضرب في البادية واستقر بجوار قبائل بني مرة قرب الربع الخالي .

وقصد بعد اقامة امتدت اشهراً الى «قطر» وهي في الاصل من اعمال الحسا، فأقام فيها شهرين ثم عاد الى الكويت فاستقر فيها مع عائلته واولاده ورجاله الذين اتبعوه ، ضيفاً على الحكومة العثمانية التي خصصت له راتباً شهرياً قدره ستون ليرة عثمانية ذهباً .

ولم يطل امد هذه الفترة ، فقد احيا نجله الاكبر عبد العزيز ، الدولة وجدد شبابها ، وبعثها بعثاً جديداً ، فصارت من اعظم دول الشرق العربي، كما كانت عنصراً كبيراً من عناصر الاستقرار والتقدم في هذا الشرق .

ولقد فصلنا اخبار هذه النضهة العظيمة التي نهضتها نجد في المجلد الثاني من هذا الكتاب ، ويصدر قريباً .

الفهرست

مطبعة كرم ـ بيروت

مؤلفات الاستاذ امين سعيد

المطبوعة

ملوك اليمن المعاصرون ودولهم	صدر سنة	١٩٣٤
أيام بغداد (رحلة في العراق)	« «	١٩٣٤
الثورة العربية الكبرى (ثلاثة مجلدات)	« «	١٩٣٦
تاريخ الاسلام السياسي (مجلدان)	« «	١٩٣٧
الدولة العربية المتحدة (٣ مجلدات)	« «	١٩٣٨
مصر من الحملة الفرنسية حتى انهيار الملكية	« «	١٩٥٨
الثورة « ثورة جمال عبد الناصر »	« «	١٩٥٩
العدوان	« «	١٩٥٩
تاريخ اليمن السياسي	« «	١٩٦٠
الجمهورية العربية المتحدة (مجلدان)	« «	١٩٦٠

(أصدرت هذه الكتب وعددها ١٦ مجلداً ، مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة) .

الوطن العربي	صدر سنة	١٩٦١
ثورات العرب في القرن العشرين (دار الهلال)	« «	١٩٦١
أمجاد آل سعود (رحلة في المملكة العربية السعودية)	« «	١٩٦١

(اصدار مكتبة دار التعاون بالقاهرة)

تاريخ الدولة السعودية (٣ مجلدات)   صدر في بيروت سنة ١٩٦٤

★

قيد الصدور في بيروت

الخليج في نهضته الجديدة .
أعمال تتكلم (بين الاتحاد السوفياتي والعالم العربي) .

★

كتب تحت الطبع للمؤلف

بلاد العرب في ظل الحكم العثماني .
سورية من الاحتلال الى الوحدة .
جمهورية لبنان .
» الجزائر .
تاريخ المغرب السياسي .
السودان المستقل .
ليبيا المستقلة .
تاريخ الدولة الهاشمية في الحجاز .
الدولة الفيصلية في الشام .
الدولة الهاشمية في الاردن .
ثورة العراق .
تونس المستقل .
الجامعة العربية (مجلدان) .

تصويبات وملاحظات على المجلد الأول

تفضل أحد كبار علماء نجد فارسل لنا هذه التصويبات تعليقاً على الجزء الاول من كتابنا ننشرها شاكرين فضله واحسانه .
قال :

عندما عد المؤرخ في مقدمة كتابه امراء ال سعود لم يذكر الامير مشارى ابن سعود بن عبد العزيز الذي تغلب عليه مشارى بن معمر واخذ الدرعية منه مرة ثانية وسلمها لعشيرته آل معمر وسلموه لأبوش القائد التركي المعسكر بعنيزة ، فسجنه حتى مات ولم يذكر الامير الشجاع العظيم عبدالله بن ثنيان الذى ثار على خالد بن سعود واخرجه ومن معه من المصريين والاتراك وطهر نجدا من عساكر الدولة . كما اهمل الامير خالد بن سعود بن عبد العزيز الذي سيره محمد علي باشا الى نجد وملكها ملكا اسميا خاضعا لمحمد علي باشا . واهمل ذكر سعود بن فيصل بن تركي الذي نازع الامارة اخاه عبدالله بن فيصل .

المهملون على النحو الآتي هم :

١ — مشاري بن سعود بن عبد العزيز
٢ — الامير عبد الله بن ثنيان
٣ — خالد بن سعود بن عبد العزيز

وللمؤلف العذر في عـدم عده مع افراد آل سعود لانه يعتبر منصوبا لمحمد علي باشا .

جاء في ص ٢٧ قوله ونشأ في كنف والده الشيخ سليمان . والصحيح ان والد الشيخ اسمه عبد الوهاب . — وجاء في ص ٣٨ ونزل في الدرعية عند عبدالله بن سالم وصوابه حمد بن سويلم .

وجاء في ص ٣٩ موضي بنت ابي وحطان وصوابه وطبان .

وجاء في ص ٤٩ يعد الشيخ مانع العنيزي وصوابه العنزي نسبة للقبيلة لا العنيزي نسبة للبلدة . ويقول وهو في الاصل من شيوج عنيزه ابن ربيعه وصوابه عنزه بن وائل وقد اراد بعنيزة قبيلة عنزة المشهورة . ثم قال بن ربيعه ليس هو والد عنزه بل جدها وجد قبائل بني حنيفه . ويقول في آل يزيد وهم في الاصل من آل الدغيثر ، والصحيح ان آل دغيثر من آل يزيد لا العكس .

وجاء في ص ٦٤ واختار الامير عبد العزيز بن سعود الشيخ عبد العزيز الحصيني . وصوابه الحصين .

وجاء في ص ٨٠ بن مضياف وصوابه ابن مضياف .

ويقول في ص ١٠٨ وبناء على طلب امبراطور الفرنسيين يعني نابليون بونابرت، هاجم الوهابيون تركية في منطقة بلاد ما بين النهرين . وسعود الامام بن عبد العزيز بن محمد بن سعود اجل من ان يكون مطية للاستعمار او لنابليون الذي داهم الازهر بخيله ورجاله . وذكر قبله في ص ١٠٠ ان طوسون ركب البحر من ينبع الى جده فنزلها بدون قتال لانها لا تزال بيد العثمانيين ونحن نسلم له ما ذكر ما عدا قوله انها لا تزال بيد العثمانيين ، فنقول ليس بصحيح لما دخل سعود بن عبد العزيز الحجاز لم يبق للعثمانيين ولاية على جده ولا على غيرها من مدن الحجاز وانما دخلها طوسون كما دخل مكة بخيانة غالب بن مساعد شريف مكة .

وقال في ص ١١٧ وكتب الامام عبدالله بن سعود قبل مباشرة القتال في أراضي نجد يطلب عقد صلح وهذا قول وقع فيه هو وغيره ، فليس عبدالله بن سعود هو الذي طلب الصلح من طوسون بن محمد بل طوسون هو الذي طلب الصلح بامر من والده محمدعلي باشا لان مصر قامت فيها حركة ترمي الى خلع محمد علي باشا فرحل من الحجاز اليها وارسل العطاس الى ابنه طوسون يأمره ان يعقد صلحا مع عبدالله ويرجع اليه في مصر وحصل الاتفاق على شروط ليس هذا محل ذكرها ورجع طوسون ومعه من رجال عبد العزيز بن سعود القاضي عبد العزيز حمدو بن بنيان من اهل الدرعية يحملان شروط الصلح فوافق عليها محمد علي باشا ثم بعد ذلك باشهر حصل من عبدالله بن سعود رحمه الله تعالى ما اوجب نقض ذلك الصلح . فكتب اليه محمد علي باشا يطلب منه هذه الشروط القاسية التي ذكرها المؤرخ هنا في ص ١١٨ اويسير اليه ولده ابراهيم باشا لقتاله . فلم يقدر عبدالله بن سعود على هذه الشروط القاسية ، وارسل الى محمد علي باشا بمصر اثنين من قبله هما حسن بن مزروع وعبدالله بن عون لتقرير الصلح الاول فلم يرض محمد علي بذلك وسير ابراهيم باشا لقتال عبدالله فحصل ما حصل .

وذكر المؤرخ بعد هذا في ص ١٢٧ ان الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب استشهد في معركة الدرعية . وهذا ليس بصحيح . عبد الله جاهد جهاد الابطال وسلم من القتل ونقل الى مصر ومات بها وخلف بها ذرية معروفة الى اليوم كما خلف ذرية بنجد .

وجاء في ص ١٣٣ آل تامر وصوابه آل ثامر .

وجاء في ١٥٧ وكان في الرياض عبدالله بن ثنيان يتولى امرها اقامه المصريون حين جلائهم . وهذا خطـــأ بل عبدالله بن ثنيان ثار المصريين واخرجهم مع اميرهم خالد بن سعود وانتزعها بحد السيف .

وذكر ان سعود بن محمد مقرن انتزع ملك الدرعية من آل معمر . هذا ليس بصحيح . لم تكن الدرعية في يوم من الايام لال معمر الا بعد ما دمرها

ابراهيم باشا ورحل اليها محمد بن مشاري بن معمر الذي سلم الامير مشاري بن سعود لابوش القائد التركي المعسكر في عنيزه وقتله القائد فثار الامام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود رحمه الله تعالى لمشاري وقتل به معمر وولده وحلون وملك الدرعية والرياض منها . وقد ذكر هذا المؤرخ قبل هذا كله ان فتح الرياض وقع في حياة محمد بن سعود وصوابه انه بعد وفاة الامام محمد بن سعود .

وقال في ص ١٤١ بعدما ذكر قصة اغتيال تركي بن عبدالله بن سعود رحمه الله تعالى ، وجاء الى مسجد الطريق الاداء صلاة الجمعة ، وهذا غلط مسجد الطريف بالدرعية عاصمتهم الاولى وتركي قتل في الرياض عاصمتهم الجديدة لان تركي انتقل اليها من الدرعية واتخذها مقر حكمه وقتل بها رحمه الله .

ثم اهمل ثورة عبدالله بن ثنيان على خالد بن سعود ومن مع خالد من العساكر المصرية ، وتحرير نجد منهم .



بيان أهم الوقائع والحوادث التي حصلت في عهد الملك عبد العزيز

الرقم	الوقـــائع
١	وقعة الصريف ١٦ ذي القعدة عام ١٣١٨ هـ .
٢	احتلال الرياض ٥ شوال عام ١٣١٩ هـ .
٣	فتح عنيزة ٥ محرم عام ١٣٢٢ هـ .
٤	وقعة البكيرية ١ ربيع الاول عام ١٣٢٢ هـ .
٥	وقعة الشنانة ١٨ رجب عام ١٣٢٢ هـ .
٦	وقعة روضة مهنا وقتل عبد العزيز بن رشيد عام ١٣٢٤ هـ .
٧	وقعة الطرفية ٥ شعبان عام ١٣٢٥ هـ .
٨	احتلال بريدة وكسرة ابي الخيل في عام ١٣٢٦ هـ .
٩	وقعة هدية ١ جمادي الثاني عام ١٣٢٨ هـ .
١٠	احتلال الحريق وقتل الهزازنة عام ١٣٢٨ هـ .
١١	فتح الاحساء ٥ جمادي الاولى عام ١٣٣١ هـ .
١٢	وقعة جراب ٧ ربيع الاولي عام ١٣٣٣ هـ .
١٣	وقعة كنزان مع العجمان عام ١٣٣٣ هـ .

الرقم	الوقائع
١٤	وقعة تربه في ٢٥ شعبان عام ١٣٣٧ هـ .
١٥	الاستيلاء على عسير في شوال عام ١٣٣٨ هـ .
١٦	وقعة الجهراء في ٢٦ محرم عام ١٣٣٩ هـ .
١٧	سقوط حائل في ٢٩ صفر عام ١٣٣٩ هـ .
١٨	سقوط الطائف في ٧ صفر عام ١٣٤٣ هـ .
١٩	دخول مكة في ٧ جمادى الاول عام ١٣٤٣ هـ .
٢٠	تسليم المدينة في ١٩ جمادى الاول عام ١٣٤٤ هـ .
٢١	تسليم جدة في ٦ جمادى الثاني عام ١٣٤٤ هـ .
٢٢	مبايعة الملك عبد العزيز ملكا على الحجاز عام ١٣٤٤ هـ .
٢٣	حادث المحمل المصري ٨ ذي الحجة عام ١٣٤٤ .
٢٤	وقعة السبلة يوم السبت في ١٩ شوال عام ١٣٤٧ هـ .
٢٥	اجتماع الملك عبد العزيز بملك العراق في ٢١ رمضان عام ١٣٤٨ هـ .
٢٦	ثورة حامد بن رفادة عام ١٣٥١ هـ .
٢٧	ثورة الادارسة في ٥ رجب عام ١٣٥١ هـ .
٢٨	تحويل اسم ملك الحجاز وسلطان نجد الى اسم ملك المملكة العربية السعودية في ٢١ جمادى الاولى ١٣٥١ هـ .
٢٩	مبايعة الامير سعود بن عبد العزيز بولاية العهد عام ١٣٥٢ هـ .
٣٠	حروب اليمن في ٦ ذي الحجة عام ١٣٥٢ هـ .
٣١	الاعتداء على جلالة الملك عبد العزيز في الحرم عام ١٣٥٣ هـ .
٣٢	وفاة الملك عبد العزيز في ١ ربيع الثاني عام ١٣٧٣ هـ .